

## الفصل الثالث :

### شعراء معاصرون من مصر..

- |                      |                             |
|----------------------|-----------------------------|
| ١- أحمد شوقي         | ٨- صالح جودت                |
| ٢- حافظ إبراهيم      | ٩- طاهر أبو فاشا            |
| ٣- علي الجارم        | ١٠- كامل الشناوى            |
| ٤- عزيز أباظة        | ١١- محمد الأسمر             |
| ٥- إبراهيم ناجى      | ١٢- الشيخ عبد الله الشبراوى |
| ٦- إسماعيل صبرى      | ١٣- محمد مصطفى الماحى       |
| ٧- محمود حسن إسماعيل | ١٤- أحمد فتحي               |



## عشر قصائد متنوعة

عجيب أمر هذه الفنانة العظيمة، التي تعرفت عل أمير الشعراء أحمد شوقي، بل وقابلته مرتين. وهو الذى مدحها فى إحدى قصائده!، ومع ذلك لم تشدو بكلماته إلا من بعد رحيله!!.. ولاشك أن ذلك كانت له أسبابه فى حينه على الأقل لوجود منافسها الشرس الموسيقار محمد عبدالوهاب داخل عقل وقلب أمير الشعراء.

ونقولها كلمة حق فى شأنه سيدة القصيدة العربية وأمير الشعراء شوقي: أنه على الرغم من شهرة ذلك الأمير، فى مجال الشعر والمسرح الشعرى ورغم قيام محمد عبدالوهاب بالترويج لبعض أشعاره، إلا أن ذكره لا تتجدد فى كل حين.. إلا عندما ينطلق صوت أم كلثوم بقصائده الخالدة!!.

وتعالوا معنا نبدأ أخكاية من أولها.. هذه البداية أثرتنا أن تكون على لسان أم كلثوم نفسها.. والتي قالت عن أمير الشعراء:

«التقيت بأمير الشعراء أحمد شوقي فى أواخر أيامه وكانت أول مرة رأيته فيها فى كلوب «سولت» فى شارع فؤاد القديم بجانب «شكوريل». وكان معه محمود فهمى النقراشى باشا والدكتور محجوب ثابت، وقد دعانى إلى الغناء فى الفيلا التى كان يسكنها على النيل حاملة اسم «كرمة بن هانى».. فذهبت مع أبى وأخى وغنيت ليلتها كما لم أغن من قبل ورأيته يتمايل طرباً ولكنه كان يقطع النشوة التى هو فيها فيختفى لدقائق ثم يعود إلينا ساهماً.. ولم أكن أدرى لماذا اختفى فهمس أبى فى إذنى: إنه إلهام الشعر يجينه فيقوم ليدون شيئاً ثم يعود..»

وتأكيداً على ما سبق وذكرناه.. ورغم هذه العلاقة.. فإن أم كلثوم لم تغن له إلا بعد رحيله.. وقالت أم كلثوم عن ذلك «لم أغن له إلا بعد موته عدة قصائد»!

وبالرجوع إلى سجل ما غنته أم كلثوم عن أحمد شوقي بالذات اتضح لنا أن عدد القصائد التى شددت بها سيدة القصيدة العربية من كلمات أمير الشعراء بلغت عشر قصائد هى بالترتيب: الملك بين يديك فى عام ١٩٣٦، وبعد هذا التاريخ بعشر سنوات

غنت لأحمد شوقي ست قصائد هي : ولد الهدى - فى الأرض شرمقاديته من «قصيدة السودان» - ريم على القاع من قصيدة «نهج البردة» - سلوا قلبى - سلوا كنوس الطلا - ثم أتعجل العمر .

وفى عام ١٩٤٩ غنت أم كلثوم «من أى عهد فى القرى تتدفق» من قصيدة «النيل»، وفى عام ١٩٥٤ غنت له : «بأبى ورحمى الناعمات» .. ثم اختتمت هذه الرحلة مع أمير الشعراء فى عام ١٩٦٩ حين تغنت بقصيدة «إلى عرفات الله» !

\*\*\*

وللشرف الكبير الذى ناله الموسيقار رياض السنباطى . فقد سمحت له أم كلثوم بأن ينفرد وحده على غير عاداتها.. بتلحين كل قصائد أحمد شوقي، وهذا يدل دلالة كبيرة على تميز هذا الفنان العبقري وتفردته فى تلحين القصائد الصعبة.

ومما لاحظناه بعد مراجعنا إلى مدونات أمير الشعراء سواء فى شوقياته المعلومة أو المجهولة . لمراجعة ومضاهاة كلماته مع ما غنته أم كلثوم .. وجدنا أن هذه المطربة العظيمة ولأول مرة فى تعاملها مع أحد الشعراء المعاصرين لم تلجأ كثيراً إلى تعديل أو تعديل كلمات الأبيات التى كتبها هذا الشاعر، إلا فى حدود ضيقة للغاية ، ولم نلاحظها إلا فى أبيات بعينها، وإن كانت قد سمحت لنفسها فى الوقت لنفسه بانتقاء بعض الأبيات واختيار أبيات دون غيرها.. نظراً لطول قصائد أحمد شوقي .. وصعوبة فهم كلمات بعض هذه الأبيات أيضاً.

ونحن نعتذر عن عدم نشر كل القصائد التى غنتها أم كلثوم لأحمد شوقي لسببين رئيسيين هما : أن معظم هذه القصائد طويل إذ يصل فى بعض الأحيان إلى أكثر من ٣٤ بيتاً .. وثانياً لكثرة ما غنته أم كلثوم لشوقي حيث بلغ عدد هذه القصائد عشرة، وإن كنا سنشير فى بداية الحديث عن كل قصيدة إلى بيت أو بيتين إذا لزم الأمر ذلك ! وكما سبق وقلنا .. فقد كانت قصيدة «عيد الدهر» . من أوائل ماغنته أم كلثوم لأحمد شوقي وجاء فى مطلعها :

الملك بين يديك فى إقباله      عوذت ملكك بالنبى وآله

وقد نشرها أمير الشعراء شوقي فى الجزء الأول من الشوقيات تحت عنوان : « عيد

الدهر وليلة القدر».. وعدد أبياتها ٥٧ بيتاً.. إختارت منهم أم كلثوم ١١ بيتاً فقط .. مع ملاحظة إلزامها بالترتيب الذى وضعه أمير الشعراء بالنسبة للبيتين الأول والثانى فقط، ثم بعد ذلك أخذت تنتقى منها بقية الأبيات التى غنتها ولحنها رياض السنباطى ، وكذلك اختتمت هذه القصيدة بالبيت الثالث قبل الأخير مما نشره أحمد شوقى والذى تقول فيه كوكب الشرق .

تهيهء بعيدك فى الممالك واسلمى

فى السلر للآلاف من أمثاله

وتعتبر هذه القصيدة ثانى أغنية لأم كلثوم تغنيها تحية للملك فاروق .. وإن كانت تعتبر أول قصيدة فى الترتيب العام لكل أغانيها المعلن عنها .. إذ غنتها بمناسبة توليه سلطاته الدستورية فى عام ١٩٣٦ .

\*\*\*

وبعد هذا التاريخ بعشر سنوات أى فى عام ١٩٤٦ غنت أم كلثوم لأمير الشعراء شوقى خمس قصائد دفعة واحدة .. وهى دون ترتيب : قصيدة : «ولدا الهدى» - التى نشرها أحمد شوقى فى شوقياته تحت عنوان «الهمزية النبوية» ، وقد إختارت منها كوكب الشرق ٣٤ بيتاً فقط من أصل ١٢٩ بيتاً هى كل أبيات هذه القصيدة .

كما جاء هذا الاختيار مثلاً لمعظم مقاطع هذه القصيدة الكبيرة إذ إختارت من المقطع الأول ٤ أبيات وهى التى تقول فى مطلعهم :

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفر الزمان تبسرو سناء

كما أهملت منها ثلاثة أبيات .. ومن المقطع الثانى إختارت عشرة أبيات من أصل ٣٩ بيتاً هى عدد أبيات هذا المقطع .. وهى تقول فى مطلع هذا المقطع :

ياخير من جاء الوجود تحبة من مرسلين إلى الهدى بك جاءوا

ومن المقطع الثالث وعدد أبياته ١٧ بيتاً إختارت أم كلثوم ثلاثة أبيات فقط .. قالت فى البيت الأول منه :

يوحى إليك النور فى ظلماته متتابعاً تجلى به الظلام

وأما المقطع الرابع فعدد أبياته ١٩ بيتاً اختارت منه أم كلثوم ١٢ بيتاً فقط.. وفي  
مطلعه تقول:

بك يابن عبدالله قامت سمحة بالحق من ملل الهدى غراء

ولم تغن أم كلثوم أبياتاً من المقطعين الخامس والسادس.. وعدد ما بهما من أبيات بلغ  
٢١ بيتاً!، وأما بالنسبة للمقطع السابع فقد اختارت منه أم كلثوم ثلاثة أبيات من أصل  
٢١ بيتاً، وقالت في مطلعها:

يا من له عز الشفاعة وحده وهو المنزلة ما له من شفاعة

وأما المقطع الثامن والأخير فقد اختارت منه بيتين من أصل خمسة أبيات.  
ومما لاحظناه أثناء إجراء هذه المقابلة - بين ما كتبه شوقي وما غنته أم كلثوم - أن  
الأخيرة لم تلتزم في اختيارها السابق للأبيات، بالترتيب الذى وضعه أحمد شوقي، وفي  
حقيقة الأمر فإننا لم نشعر فى أية لحظة بوجود أى نوع من القطع أو الإخلال!.. حتى  
وكأننا نتصور أن ما تغنت به أم كلثوم من أبيات أعاد ترتيبها الملحن رياض السنباطى هو  
ما كتبه أحمد شوقي نفسه، وتلك هى قمة العبقرية سواء فى الغناء أو التلحين، كما  
لاحظنا أن عدم الالتزام بالترتيب العام لأبيات قصائد أحمد شوقي فى كل ماغنته أم  
كلثوم كان هو السمة الغالبة!!..

\*\*\*

ثم غنت أم كلثوم فى العام نفسه قصيدة «سلوا قلبى».. وقد نشرها أحمد شوقي فى  
ديوانه تحت عنوان! «ذكرى المولد».. وبلغ عدد أبياتها ٧١ بيتاً غنت منهم أم كلثوم ٢١  
بيتاً فقط.. وهذه القصيدة يقول مطلعها:

سلوا قلبى غداة سلا وتاباً لعل على الجمال له عتاباً

ولقد لاحظنا أن أم كلثوم قد التزمت بالأبيات الستة الأولى وفق ترتيب أمير الشعراء  
شوقي.. أما باقى ما غنته فقد اختارتهم كوكب الشرق اختياراً عشوائياً وفق رغبة الموسيقار  
رياض السنباطى.

كما غنت أم كلثوم أبياتاً من قصيدة «نهج البردة» والتي بدأتها بقولها:

رير على القناع بين البان والعلم

أحل سفك دمي فى الأشهر الحرم

إذ أن عدد أبياتها كما جاء في ديوان الشوقيات ١٩٠ بيتاً .. غنت منها كوكب الشرق  
٣٠ بيتاً وهذه القصيدة قد شغلت لطول أبياتها وكثرة عددها ما يقرب من خمسة عشر  
صفحة من الشوقيات !

والغريب أن أم كلثوم قد التزمت وفق ترتيب هذه الأبيات بالبيت الأول فقط .. ثم  
بدأت بعد ذلك عملية انتقاء واسعة أسفرت عن اختيارها لبقية الأبيات التي شدت بها!  
مع ملاحظة أن هذا الاختيار قد تركز في الخمسين بيتاً الأولى وهي من الأبيات التي تمثل  
الجزء الأول من هذه القصيدة الطويلة..!

ليس هذا فقط .. بل ولذكاء أم كلثوم المفرط فقد التزمت كذلك بالبيت الأخير في  
هذه القصيدة وفق ترتيب أحمد شوقي وهو البيت الذي قال فيه:

يارب أحسنت بدء المسلمين به فتمر الفضل وامنح حسن مختمر

\*\*\*

وجاء الدور على قصيدة «سلوا كنوس الطلا»، وهي من القصائد التي كتبها شوقي  
خصيصاً لكي تغنيها أم كلثوم ! والتي قالت عنها أم كلثوم في مذكراتها:

«... وفي صباح اليوم التالي جاءني من يقول: إلحقي يا ست .. شوقي بك أمام الباب  
الخارجي .. فهرولت لأجده .. كان وجهه مضيقاً بابتسامة طيبة .. وقد دفع إلي بمظروف ..  
وهو يقول: هذه هدية متواضعة تعبر عن إعجابي ! .. إنها من وحيك .. وفتحت المظروف  
لأجد قصيدة:

سلوا كنوس الطلا هل لامست فاهما  
واستنجلوا الراح هل مست يداها

وتواصل أم كلثوم قولها في مذكراتها: ولكني لم أغن الأغنية في حياته .. غنيها بعد  
موته ..»

وقد غيرت في كلمات البيت الرابع الذي يقول فيه أحمد شوقي:

هيفاء كالبان يلفت النسير بها وينتهي فيه تحت الوشى عطاها

إذ لجأت لشاعرها المفضل آنذاك أحمد رامي .. لإتمام هذا التغيير المطلوب .. مستخدماً  
حرفيته المعهودة في ذلك .. وقد غير الشطر الثاني فجاء البيت الذي غنته أم كلثوم مغايراً  
بعضه الشيء لما كتبه شوقي .. وهي التي تقول فيه:

هيفاء كالبان يلفت النسير بها

ويلفت الطير تحت الوشى عطاها

وقصيدة «سلوا كنوس الطلا» لم ينشرها شوقي في ديوانه المعروف بالشوقيات.. بل جمعها من بعده الدارسون.. ووضعوها فيما أسموه «بالشوقيات المجهولة!» وخاصة فى القسم الغنائى من هذه الشوقيات!

كما غنت كوكب الشرق أبياتاً من قصيدة «السودان» والتي تقول فى مطلعها:  
وفى الأرض شرم قاديرو  
لطيف السماء ورحمانها

\*\*\*

وفى عام ١٩٤٩، أعادت أم كلثوم الروح من جديد لأشعار أمير الشعراء شوقي.. إذ تغنت فى هذا العام بأبيات من قصيدته «النيل» والتي نشرها أمير الشعراء تحت عنوان «أيها النيل»... وعدد أبياتها ٢١ بيتاً فى المقطع الأول. و١٤ فى المقطع الثانى.. و٨١ فى المقطع الثالث، و٣٧ فى المقطع الرابع، أى أن عددها ١٥٣ بيتاً، أما ما غنته أم كلثوم فقد بلغ ٢٤ بيتاً فقط!!!

ويقول مطلع هذه القصيدة

من أى عهد فى القرى تتدفق  
بأى كفافى المدائن تغدق  
وكالعادة فقد اختارت كوكب الشرق ٨ أبيات من المقطع الأول.. ومن المقطع الثالث ٩ أبيات.. ثم اختارت من المقطع الرابع والأخير ٧ أبيات فقط!

\*\*\*

وفى عام ١٩٥٤ كررت أم كلثوم التجربة مع الشاعر أحمد شوقي.. فغنت له القصيدة قبل الأخيرة فى سلسلة القصائد التى غنتها لشوقي.. والتي تقول فى مطلعها:  
بأبى وروحى الناعمات الغيدا  
الباسمات عن اليتيم نضيراً  
وهى من القصائد التى لم تسجلها على أسطوانة كالعادة.

وفى الشوقيات نشرها أمير الشعراء تحت عنوان: «تكريم».. وعدد أبياتها ٣٨ بيتاً فى المقطع الأول و١٢ فى المقطع الثانى وأما ما غنته أم كلثوم فقد بلغ ١٦ بيتاً فقط.. وقد اختارتها من المقطع الأول..

\*\*\*

وأخيراً وفي عام ١٩٦٥ .. اختتمت أم كلثوم غناء شوقيات أمير الشعراء بالشدو بقصيدته المشهورة: «إلى عرفات الله» والتي تقول فيها :

إلى عرفات الله يا خير زائر  
عليك سلام الله فى عرفات  
وعدد أبياتها ٣٤ فى المقطع الأول و١٨ فى الثانى و١١ بيتاً فى الثالث.. وأما أم كلثوم فقد غنت فقط ٢٥ بيتاً اختارتها جميعاً من المقاطع الثلاثة.. وقد غيرت فى كلمات البيت الذى قال فيه شوقى :

إذا زرت يا مولاي قبر محمد

وقبلت مشوى الأعظم العطرات

وقد بدلت فى الشطر الأول حيث أصبح يقول :

إذا زرت بعد البيت قبر محمد

وقبلت مشوى الأعظم العطرات

والجميل فى هذه القصيدة . أن كوكب الشرق قد التزمت بالأبيات السبعة الأخيرة من القصيدة التى كتبها شوقى وفق ترتيبه كختام لما تغنت به .

\*\*\*

ورغم طول هذه الرحلة على ما بها من شغف ومتعة.. إلا أننا فضلنا ألا يزيد هذا التطويل عن الحد المعقول .. ورأينا أن خير ختام .. هو أن نذكر النفس بصاحب هذه الكلمات .. من خلال ما كتبه عن نفسه وما نقله عنه المؤرخون .

فقد ولد شاعرنا الكبير أحمد شوقى وفق ما أكده الدكتور شوقى ضيف فى ١٨٦٩ .. بالقاهرة.. إلا أن هناك من المؤرخين الذين اختلفوا فى تاريخ ميلاد أمير الشعراء.. حيث قالوا غير ذلك ..

والدكتور ماهر حسن فهمى يوضح لنا سبب هذا الخلاف بقوله: اختلف مؤرخو الأدب فى مولد شوقى، فجلهم ذكر أن ميلاده كان عام ١٨٦٨ م وجاء ذلك نقلاً عن الشوقيات القديمة حين ذكر شوقى فى مقدمتها أنه يحبو إلى الثلاثين، ولما كان تاريخ طبعها هو ١٨٩٨ م، فإن تاريخ ميلاده على هذا الأساس المذكور يكون صحيحاً.. ويقصد هنا عام ١٨٧٠<sup>(١)</sup> .

(١) أحمد شوقى - د. ماهر حسن فهمى .

ولكن كاتبًا واحدًا عنى نفسه بتحقيق تاريخ صدور الشوقيات القديمة وهو الدكتور محمد صبرى، فوجد أن التقايرظ المذكورة آخر الديوان تـؤرخ. عام ١٣١٧هـ وهو يقابل ١٩٠٠ م أو النصف الأول منها على وجه الدقة، ورغم ذلك تابع غيره من الكتاب وذكر أن تاريخ ميلاد شوقى هو عام ١٨٦٨ م.

\*\*\*

وتعود أصول شوقى العائلية إلى الكردية .. وقد أسماه والده أحمد شوقى تيمناً باسم جده .. وعلى الرغم من أنه نشأ نشأة أرستقراطية إلا أن مولده جاء فى أحد أحياء القاهرة الشعبية وهى حى الحنفى القريب من العتبة، كما التحق فى بداية حياته بمكتب الشيخ صالح .. ثم انتقل منه إلى المدرسة اخديوية ومنها إلى مدرسة الحقوق (قسم الترجمة) ثم سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق والآداب فى عام ١٨٨٧ .. وعاد من هذه البعثة فى عام ١٨٩١ .

ثم نفى إلى إسبانيا لبعض مواقفه الوطنية من السلطان حسين ومن الإنجليز فى عام ١٩١٥ وظل بهذا المنفى حتى عام ١٩١٩، تفرغ أحمد شوقى لكتابة الشعر الذى أتقنه منذ نعومة أظفاره وقد كتب فى كل المجالات .. حتى أن البعض ليعتبر أشعاره فى الوطنية مثالا يحتذى به، وقد ترك وراءه عشرات القصائد طبعت لأول مرة فى ديوان سـمى بالشوقيات، وهذا بخلاف ما كتبه من أشعار غنائية اختص بها صديق عمره الموسيقار محمد عبد الوهاب .. والتي أضاف إليها ألحانه العذبة .

## ومصر تتحدث عن نفسها

على الرغم من أن سيدة القصيدة العربية أم كلثوم قد تغنت بقصيدة شاعر النيل حافظ إبراهيم في عام ١٩٥١، والتي تقول في مطلعها.. «وقف الخلق ينظرون جميعاً» .. إلا أن هذه القصيدة قد ارتبطت بشدة بأهم حدث سياسي وقع لمصر خلال القرن العشرين.. ألا وهو قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢.

ويبدو أن اختيار أم كلثوم لهذه الكلمات بالذات لم يأت اعتباطاً أو تم بشكل عشوائي، بل هداها تفكيرها وشعورها الوطني المرفه إلى أن هناك شيء هام وخطير في الأفق، وربما يدبر له في الخفاء! خاصة بعد الأحداث الدامية في حرب فلسطين والتي نشبت في عام ١٩٤٨ وما لحق بمصر والعرب من هزيمة عسكرية أمام عصابات اليهود!

في هذا الوقت العصيب الذي كانت تمر فيه مصر بمرحلة تاريخية هامة وخطيرة.. شدت أم كلثوم بكلمات حافظ إبراهيم الذي يتغنى فيها بمصر وعظمتها وتاريخها الطويل والعريق، رغم ما في هذه الكلمات من تحريض صريح على الثورة واستخدام القوة، فقد سمحت سلطات الحكومة الملكية آنذاك بإذاعتها.. ويبدو أنهم لم يفتنوا إلى مغزاها إلا في وقت متأخر!

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو في عام ١٩٥٢، اتخذ المسئولون عن الإعلام في مجلس قيادة الثورة من كلمات هذه القصيدة سلاح إعلامي خطير للترويج لها ولأحداثها. ولكسب المزيد من المؤيدين، إذ ظلت إذاعة القاهرة من بعد الاستيلاء عليها ومنذ اللحظة الأولى لإعلان بيان الثورة الأول، تواصل إذاعة قصيدة حافظ إبراهيم بصوت أم كلثوم، مع كل بيان ثوري يذيعه أحد الضباط!

ولحسن الحظ فقد فاز الموسيقار الكبير رياض السنباطي بشرف تلحين هذه القصيدة.. وقد أبدع فيها إبداعاً لم يقل عن إبداعاته الموسيقية السابقة.

ولأم كلثوم ذكريات جميلة سجلتها في أوراقها الخاصة عن هذه القصيدة وعن شاعرها حافظ إبراهيم، ومما قالت عن ذلك: «مرة طلبوا مني أغنية وطنية.. وقالوا لي:

كلفى من تشائين من شعراء الأغاني لينظم قصيدة فى أسرع وقت لتغنيها فى أقرب فرصة، فلما عدت إلى البيت تذكرت أنى أحفظ لشاعر النيل « حافظ إبراهيم»، قصائد رائعة وعكفت على ديوانه .. وانتقيت قصيدة من ديوانه ورحت أختار أبيتا أغنيها من بين أبياتها العديدة، وقبل أن أنام وفى الرابعة صباحا .. كنت أدندن باللحن لبيته الرائع :

أنا إن قدر الإله ممانى لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى

وعندما وقفت - والكلام لا يزال لأم كلثوم- أغنى القصيدة أحسست أنى وفيت ديناً فى عنقى لشاعر لم أره ولكن من حقه على أن أحمل رابعة من رواعته إلى الجماهير العربية.

\*\*\*

وبالفعل وفى عام ١٩٥١ غنت سيدة القصيدة العربية: قصيدة «مصر تتحدث عن نفسها» أمام الإذاعة ولم تسجلها على اسطوانات كالمعتاد، بل ظل التسجيل الوحيد لهذه القصيدة موجوداً بمحطة الإذاعة المصرية، حيس الأشرطة حيث لم تذع إلا مرات بعينها.. حتى قيام الثورة فى عام ١٩٥٢، عندما ظلت الإذاعة تبثها على كل موجاتها بين الحين والحين!

وتقول كلمات ما غنته أم كلثوم لحافظ إبراهيم:

كيف أبنى قواعد المجد وحدى  
كفونى الكلام عند التحدى  
ودراته فرائد عقدى  
من له مثل أولياتى ومجدى  
لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى  
من قديم عناية الله جندى  
شرزالت وتلك عقبى التعدى  
رغر أنف العدا وقطعت قيدى  
فى مراسم لرب أبلغ اليوم رشدى  
صفوا وأن يكمل ووردى  
سد منهر وأن تفيد أسدى

وقف الخلق ينظرون جميعاً  
وبناة الأهرام فى سالف الدهر  
أنا تاج العلاء فى مفرق الشرق  
إن مجدى فى الأوليات عريق  
أنا إن قدر الإله ممانى  
ما رمانى رامرواح سليماً  
كربغت دولة على وجارت  
إننى حرة كسرت قيودى  
أترانى وقد طويت حياتى  
أسن العدل أنهر يردون الماء  
أسن الحق أنهر يطلقون الأ

نى فشلدوا إلى العلاءى شد  
أمضى من كدل أبيض وهندى  
من رجالى فأنجزوا اليوم وعدى  
فالعلم وحده ليس يجدى  
فيه وعشرة الرأى نردى  
جانبيه بعزمة المستعد

نظر الله لى فارشد أبنا  
إنما الحق قوة من قوى الديان  
قد وعدت العلاب بكل أبى  
وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق  
نحن نجتاز موقفنا نعشر الأرا  
فتفوا فيه وقفة حزم وارموا

\*\*\*

وعندما رجعنا إلى ديوان حافظ إبراهيم، والذي صدر فى جزئين فى عام ١٩٢٧ وجدنا أن شاعرنا الراحل قد نشر هذه القصيدة تحت عنوان «مصر» وقد ألقاها من قبل أن ينشرها فى هذا الديوان فى حفل عام أقيم تكريمًا للمرحوم عدلى باشا يكن بعد عودته من أوروبا مقاطعًا للمفاوضات مع الإنجليز.. ومستقبلًا من رئاسة الوزارة.. كما نشرت هذه القصيدة لأول مرة فى الصحف فى عام ١٩٢١<sup>(١)</sup>.

كما اتضح لنا كذلك من خلال الاطلاع على الديوان نفسه أن عدد أبيات قصيدة «مصر» لحافظ إبراهيم والتي تغنت بها أم كلثوم تحت عنوان : «مصر تتحدث عن نفسها» هو ٥٧ بيتًا.. فى حين غنت منهم كوكب الشرق ١٧ بيتًا فقط، وهى الأبيات السالف نشرها فى هذه الأوراق.

وقد اختارت أم كلثوم من هذه القصيدة وفق ترتيب حافظ إبراهيم أول ثلاثة أبيات، ثم أهملت بعد ذلك ٢٢ بيتًا ! . ثم عادت واختارت بعد ذلك البيت الرابع فى ترتيب ما تغنت به والذي يقول مطلعُه :

إن مجدى فى الأوليات عريق..

ثم عادت كوكب الشرق واختارت الأبيات أرقام ١١، ١٢، ١٣، ١٤ من القصيدة وفق ترتيب الشاعر.. كما اختارت كذلك البيت رقم ٣٠ والذي يقول مطلعُه .

أترانى وقد طويت حياتى..

ولم تختار البيت الواحد والثلاثين وفق ترتيب القصيدة الأصلية والذي قال فيه حافظ

إبراهيم :

(١) من هامش الجزء الثانى من ديوان حافظ إبراهيم المنشور فى عام ١٩٢٧ .

أى شعب أحق منى بعيش وارف الظل أخضر اللون رغد  
ثم عادت واختارت من القصيدة البيت الثانى والثلاثين والذى تقول فى مطلعته:  
أمن العدل أنهر يريدون الماء....  
وكذلك اختارت البيت الثالث والثلاثين الذى يقول مطلعته:  
أمن الحق أنهر يطلقون الأسد....  
كما أهملت البيت الرابع والثلاثين الذى قال فيه الشاعر:  
نصف قرن إلا قليلاً أعانى مايعانى هوأته كل عبد  
واختارت بعد ذلك البيت الخامس والثلاثين والذى يقول مطلعته:  
نظر الله لى فأرشد أبنائى.....  
وكذلك البيت السادس والثلاثين والذى تقول فيه:  
إنما الحق قوة من قوى الإيمان....  
وأيضاً البيت السابع والثلاثين الذى يقول مطلعته:  
قد وعدت العلا بكل أبى....  
وأما البيت الثامن والثلاثين الذى يقول فيه حافظ إبراهيم:  
أمهروها بالروح فى عروس تسنا المهر من عروض وقد  
فلم تختره أم كلثوم وكذلك البيت التاسع والثلاثين الذى قال فيه الشاعر:  
وردوا بى مناهل العز حتى يخطب النجر فى الحجر ودى  
إلا أنها اختارت البيت رقم ٤٠ والذى تقول فى مطلعته:  
وارفعوا دولتى على العلم والأخلاق....  
ثم أهملت الأبيات من ٤١ إلى ٤٨ ... واختارت البيت التاسع والأربعين الذى تقول  
فى مطلعته:  
نحن نجتاز موقفاً تعثر الآراء..  
كما اختارت البيت رقم ٥٣ من القصيدة نفسها والذى قالت فيه كختام لما تغنت به:  
فقفوا فيه وقفة حزم وارموا جانبيه بعزيمة المستعد  
وبذلك فقد أهملت الأبيات من ٥٠ حتى ٥٢ !!..

\*\*\*

ولصاحب هذه الكلمات المجيدة .. سيرة عطرة أشار إليها معظم النقاد والمؤرخين نظراً  
لدوره ومكانته فى عالم الشعر وعالم الأدب العربى بشكل عام، ونحن نقتطف من هذه

السيرة بعض ملامحها من أجل أن تُستكمل لدينا ولديكم الصورة بكل تفاصيلها من حيث ما أراد الشاعر نفسه ..

فقد ولد الشاعر حافظ إبراهيم في قرية ديروط بصعيد مصر.. على ضفاف النيل .. ولم يعرف تاريخ ميلاده وإن كانوا قد سنوه وكما يقول الشاعر صالح جودت في كتابه «ملوك وصعاليك» .. فقد روا له أنه ولد في يوم ٤ فبراير عام ١٨٧٢ .. وقد لمعت مواهبه منذ صباه .. كما مارس الحمامة وهو دون العشرين بكثير، ولكن نزعته الوطنية حبتة في الفروسية، فالتحق بالمدرسة الحربية.

وسرعان ما أصبح الشاعر محمد حافظ إبراهيم في طليعة الضباط الأحرار وكان عددهم ثمانية عشرة ضابطاً أرادوا أن يشبوا على الاستعمار الإنجليزي وأعوانه في السودان فتزعّموا ثورة السودان، وأيدهم الخديوي عباس في السردون الجهر، ولما فشلت هذه الثورة خذلهم الخديوي وأحيل حافظ إلى الاستيداع ثم المعاش.

كما يؤكد أنور الجندی في كتابه «عن أعلام الفكر والأدب» أن حافظ إبراهيم عاش حياة أعزباً منظوياً على نفسه منذ عودته من السودان، كما ظل على هذه الحالة النفسية الصعبة قرابة عشرين عاماً في دار الكتب.

وقد نشأ في بيئة شعبية ومات أبوه صغيراً.. كما اتصل هذا الشاعر الوطني الكبير برجلين كانا من كبار رجال عصره وهما محمد عبده وسعد زغلول.

واستمرت صلته بالشيخ محمد عبده طويلاً .. وقد أثر عن الشيخ محمد عبده قوله :  
«إنني صحبت حافظ أربعين عاماً فلم أستطع أن أهديه ولم يستطع أن يضلني»!

مات حافظ إبراهيم يوم ٢١ يولييه على ١٩٣٢ .. وله مكانة كبيرة في حياتنا الأدبية .. إذ اتصل آنذاك بأعلام الشعر في عصره من أمثال شوقي ومطران وآخرين ... فقد كانت مجالس الأدب في الجيل الذاهب لاتذكر اسم حافظ إلا مقترنا بشوقي، ولا يذكر اسم شوقي إلا مقترنا بحافظ حتى كأنهما توأمان!

\*\*\*

ويرى العديد من النقاد والمؤرخين أن حافظ إبراهيم قد بدأ حياته الأدبية مقلداً لشاعر الجيل السابق محمود سامي البارودي، شاعر السيف والقلم، وقد أمعن في تقليده حتى شاء أن يكون خليفته رائداً للسيف والقلم، ولعله تطلع إلى أن يبلغ ما بلغه البارودي وزيراً للحربية ثم رئيساً للوزارة، حين هجر الحمامة وداخل المدرسة الحربية.

وقد عُرف حافظ إبراهيم وسط كوكبة كبيرة من شعراء مصر .. باسم شاعر الوطنية .. لما كانت في حياته من مواقف عبر عنها بصدق من خلال أشعاره التي لن تموت أبداً!

## وتجربة ناجحة للملحن هاو!

لا أعرف بالضبط من صاحب هذا الاختيار الموفق، لكلمات شاعرنا الكبير على الجارم، لكى تشدو بها أم كلثوم؟! فهل يا ترى يرجع الفضل فى ذلك الاختيار إلى الملحن المغمور آنذاك الدكتور أحمد صبرى النجرىدى .. الذى لعب دوراً رئيسياً فى إتقان أم كلثوم لغناء القصائد منذ بداية رحلتها الفنية مع مطلع العشرينات، أم أن ذلك الفضل يعود لأم كلثوم نفسها التى كانت قد أقبلت فى تلك الفترة على غناء هذه النوعية المتميزة من كلمات شعراء مصر فى العصر الحديث؟!.. وذلك تقليداً لأستاذها الأول فى الغناء الشيخ أبو العلاء محمد.

ومهما كان هذا المتسبب فى هذا الاختيار، فإن انضمام الشاعر المصرى الكبير على الجارم إلى كوكبة الشعراء الذين تغنت بكلماتهم سيدة القصيدة العربية أم كلثوم، قد زان الاثنين .. الشاعر والمطربة .. ويبدو إن جرأة أم كلثوم فى اختيارها لهذه الكلمات التى سطرها الشاعر على الجارم ضمن إحدى قصائده، وفى هذا الوقت المبكر من مشوار حياتها قد ساهم كثيراً فى استمرارها بقوة فوق هذا الطريق الصعب الذى لم يرتده غيرها من المطربين إلا لفترات محددة فقط!

ذلك لأن على الجارم .. كان من أوائل الشعراء المصريين المعاصرين الذين تعاملت مع كلماتهم بذكاء شديد أم كلثوم ..، وقد غنت له عدة أبيات فقط من قصيدة طويلة فى عام ١٩٢٦ .. وبألحان الملحن الطنطاوى الهاوى آنذاك الدكتور صبرى النجرىدى، وقد سجلت هذه القصيدة فى العام نفسه على أسطوانة جرامفون.

وتقول كلمات هذه القصيدة التى اختارت عنوانها من كلمات البيت الأول: «ما لى

فتنت:

وسلوت كل ملىحة إلاك  
ومضلتى وهداي فى بمناك  
وإذا هجرت فكل شيء باك  
لا نستطيع جحود عيناك

ما لى فتنت بلحظك الفتاك  
يسراك قد ملكت زمام صبابتى  
فإذا وصلت فكل شيء باسر  
هذا دمي فى وجنتيك عرفته

لورم أخف حر الهوى ولهيبه      لجعلت بين جوانحي مشواك  
إني أغار من الكنوس فجنبي      كأس المدامة أن تقبل فال  
لك من شبابك أو دلالك نشوة      \*\*\* سحر الأنا مرفعلها عطفالك

وقد نشر الشاعر الراحل على الجارم هذه الأبيات ضمن قصيدته الموجودة بديوانه المنشور في عام ١٩٣٨.. والذي صدر عن مطبعة المعارف ومكتبها في مصر.. ومن قبل أن ينشرها في هذا الديوان ألقها في حفل أدبي أقيم في عام ١٩١٦.

وقد اختارت أم كلثوم الكلمات السابقة لكي تغنيها حين نشرت هذه القصيدة في الصحف آنذاك.. وعنوان القصيدة التي اختارت منها كوكب الشرق هذه الكلمات هو «الحب والحرب».. أما عدد أبياتها الكلي فبلغ ٣٩ بيتاً.. مع إن كوكب الشرق قد غنت فقط ٩ أبيات.

كما اشتملت هذه القصيدة وفق ما جاء بديوان على الجارم على خمسة مقاطع.. المقطع الأول وعدد أبياته ثمانية أبيات.. اختارت منها أم كلثوم الأبيات السبعة التي شددت بها.. وقد أهملت البيت الثامن الذي يقول فيه الشاعر:

خدعتك ما عذب السلاف وإنما      قد ذقت لما ذقت حلوماك

وأما المقطع الثاني من هذه القصيدة فقد اشتمل على ٩ أبيات.. وكذلك المقطع الثالث ٨ أبيات والرابع ٩ أبيات.. وأخيراً اشتمل المقطع الخامس والأخير على ٥ أبيات.

والملاحظ أن أم كلثوم لم تختار من هذه المقاطع المتبقية من القصيدة ولا بيت واحد.. وقد اكتفت بما اختارته من أبيات المقطع الأول، وكما سبق وذكرنا.

\*\*\*

وشاعر كبير مثل على الجارم له أهمية عظيمة في حياتنا الأدبية والفكرية.. حيث ملأ السمع والأبصار بأعماله المتنوعة.. لذلك فقد حفلت بسيرة حياته عشرات الكتب.. والمجلات.. هذه الحياة الطيبة التي قضاها بيننا علماً من أعلام الفكر المصري والعربي الحديث.. لا شك يحتم علينا أن نقبس من نورها الشيء اليسير.. حتى تكتمل لدينا الفائدة.. ولنعرف بالضبط موقع هذا الشاعر فوق خريطة الأدب العربي الحديث، هذه المعرفة في حد ذاتها توضح لنا قيمة أم كلثوم.. المطربة العظيمة التي وضعت أيديها وحجرتها على كنوز المعرفة المسطورة فوق أحرف منظومة في أشعار تتلى وتسمع..

ولد الشاعر على الجارم فى مدينة رشيد فى سنة ١٨٨١ وتعلم بالأزهر الشريف ودار العلوم التى تخرج منها سنة ١٩٠٨، ثم سافر إلى إنجلترا فى بعثة علمية فأقام عاماً بمدينة توتنجهام التى درس بها اللغة الإنجليزية ثم التحق بكلية المعلمين بإكستر ومكث بها ثلاث سنوات درس خلالها التربية والأدب الإنجليزي وعلم النفس والمنطق..

ولما عاد إلى مصر فى أغسطس عام ١٩١٢ عين مدرساً بمدرسة التجارة المتوسطة ثم نقل منها بعد سنة إلى دار العلوم مدرساً لعلوم التربية، وفى مايو عام ١٩١٧ نقل مفتشاً بوزارة المعارف ثم رقى إلى وظيفة كبير مفتشى اللغة العربية وبقي بهذه الوظيفة حتى عام ١٩٤٠ فنقل وكيلاً لدار العلوم وبقي بها إلى أن أحيل إلى المعاش عام ١٩٤٢.. وقد عين عضواً بمجمع اللغة العربية منذ إنشائه فى عام ١٩٣٢. ويعتبر على الجارم من كبار شعراء مصر فى العصر الحديث.. وله عدة مؤلفات سواء فى الشعر أو فى كل فروع الأدب. كما أن ديوانه طبع فى أربعة أجزاء<sup>(١)</sup>.

---

(١) المجمعون فى خمسين عاماً - المطابع الأميرية - إعداد. د. محمد مهدى علام.

## عزيز أباظة

### وقصة السد العالي

بالرجوع إلى الإنتاج الأدبي الغزير الذي خلفه وراءه شاعرنا الكبير عزيز بك أباظة، اتضح لنا أنه يعتبر من كبار شعراء العربية في عصرنا الحديث. فهو لا يقل مكانة أو قيمة عن كل من شوقي وحافظ أو غيرهما من شعراء العربية العظام، وهذا يوضح لنا بجلاء مدى ما اتصفت به أم كلثوم سيدة القصيدة العربية في حسن اختيارها لكلمات هؤلاء الشعراء.

ولقد أجمع النقاد وكذلك معظم المؤرخين على أن الشاعر الكبير عزيز أباظة، قد برع براعة غير مسبوقه إلا من أحمد شوقي أمير الشعراء في مجال الشعر التمثيلي...

ونراه في هذا السياق قد كتب عدة مسرحيات شعرية تاريخية، هذه المسرحيات ذاتها هي التي غطت على شهرته فيما سواها من فنون الشعر الأخرى مثل كتابة القصيدة.

وعلى الرغم من أن عزيز أباظة لم يكتب في حياته الكثير من الشعر الوطني أو القومي مثل بقية أقرانه ممن خفوه أو سبقوه، إلا أنه قد انشغل بالوطنية في مجال المسرح الشعري، حيث استلهم معظم موضوعات هذه المسرحيات من التاريخ العربي الإسلامي.

وقد أكد ذلك بوضوح الأديب الراحل طاهر الطناحي حين قال: «وإذا كان عزيز أباظة لم يصرح في المناسبات الوطنية والاجتماعية بقصائده كما فعل شوقي وحافظ ومطران، فإنه لم يغفل ذلك في مسرحياته الشعرية.. فقد هز عدة مرات نفوس الجماهير الذين شاهدوا هذه المسرحيات بما كان يتخللها من نغمة وطنية وعظمت اجتماعية وحكم فلسفية» (١).

ثم جاءت أم كلثوم لكي تضيف لهذا الشاعر الأرسقراطي الكبير جانباً آخر في حياته.. وذلك حين وقع اختيارها على قصيدة من بعض أشعاره الوطنية، والغريب أن هذا الشاعر الأرسقراطي قد قالها بمناسبة البدء في بناء السد العالي.

هذه القصيدة التي سوف نعيش مع كلماتها بعد لحظات، قد فجرت في حينها قضية

(١) حديقة الأديب - طاهر الطناحي.

أدبية شغلت الرأي العام الأدبي، وذلك حين كتب الشاعر كامل الشناوى يقول إن قصيدة «السد العالى» للشاعر عزيز أباطة هى من تأليفه وليس من تأليف «عزيز أباطة» !!

ولنا أن نتصور كيف يكون الجو العام الأدبى فى مثل هذه الحالات التى أثيرت فيها شكوك حول إنتاج لأحد الشعراء المصريين الكبار.. وهذه الشكوك وجهها إليه شاعر مصرى كبير آخر!!!

ففى أواخر عام ١٩٥٩ وبداية عام ١٩٦٠ اختارت سيدة القصيدة العربية أم كلثوم هذه الكلمات من قصيدة غنتها تحت عنوان «قصة السد»، وجاءت توقيت إذاعة هذه القصيدة متزامناً مع احتفالات البدء فى تنفيذ مشروع السد العالى..

وكلمات هذه القصيدة تقول:

كان حلمًا، فخاطراً، فاحتمالاً	ثم أضحى حقيقة لا خيالاً
عمل من روائع العقل، جنناهُ	بعلم، ولم نجنّه ارتجالاً
إنه السد، فارقبوا مولد السد	وباهوا بيومه الأجيالاً
يفتح الرزق، وهو سد فينسا	ب جنوباً فى أرضنا وشمالاً
ويشيع الحياة تنبض نبثاً	بغمر الجذب نوره والرمالاً
وبقى النهر نزوة المسرف المحتا	ج، يلهو فينثر الأموال

\*\*\*

حقق المعجزات عزم جمال	فاحمدوا الله أن حباكر جمالا
هو والنبيل واهبا السد	هذا سال تبرا وذاك فاض نضالا
حين ألوي بعهد مقرر الما	وصد الصديق عنا ومالا
واستدار التاريخ ينظر هل	يستسلم الليث أمر يصول مصالا
قال إني بانيه، وأعتز بالله	وبالحق فاسترد القنالا
قالها من صميم أفئدة	الشعب فكانت أقواله أعمالا
وإذا هبت الشعوب إلى الغايات	شقت لنيلهن الجبالا

\*\*\*

إلا أن شاعرنا الكبير عزيز أباطة قد اختار لهذه الكلمات عنواناً آخر هو: «مولد السد العالى» حين نشرها فى أحد دواوينه.

كما أن أم كلثوم قد غيرت في بعض كلمات هذه القصيدة التي لحنها الموسيقار رياض السنباطي.. فاختارت كلمة «من روائع العقل».. بدلاً من «روائع الفن» التي ذكرها الشاعر في البيت الثاني من هذه القصيدة.

ليس هذا فقط.. بل نرى أن أم كلثوم قد أهملت البيت الخامس من هذه القصيدة والذي قال فيه عزيز أباطة:

كان من خلف بين الشقيقتين فانفض وعاد الإخاء أقوى حبالا  
وقد طلبت أم كلثوم من الشاعر الكبير عزيز أباطة أن يكتب بيتاً بدلاً منه حتى لا يختل عدد أبيات القصيدة.. وبالفعل كتب عزيز أباطة هذا البيت الذي قال فيه وغنته أم كلثوم:

وبقي النهر نزوة المسرف المهتاج، يلهو فينثر الأموالا

\*\*\*

وللشاعر عزيز أباطة تاريخ طويل ونحات مضيئة في حياتنا العامة وحياتنا الأدبية، وقد عاش بيننا خمسة وسبعين عاماً، فهو من مواليد عام ١٨٩٨ ومات في عام ١٩٧٣.  
وكعادة الشعراء الكبار مع النقاد ومع المؤرخين فقد شغل عزيز أباطة صفحات كثيرة مما كتبوه في أوراقتهم.. سواء عن حياته العامة أو حياته الأدبية.

ليس هذا فقط.. بل وكان هذا الشاعر ضيفاً على أوراق مهمة كتبها عنه ابنته التي هي في الوقت نفسه زوجة الأديب الروائي الكبير ثروت أباطة..

ومن بين ما كتب عن هذا الشاعر أنه ولد بقرية الريعماية مركز منيا القمح محافظة الشرقية، وتلقى تعليمه الابتدائي بالمدرسة الناصرية الابتدائية، ثم أكمل دراسته في المرحلة الثانوية بالمدرسة التوفيقية بشبرا والمدرسة السعيدية بالحيزة، كما التحق بمدرسة الحقوق ونال منها شهادة الليسانس في عام ١٩٢٣ وهو في الخامسة والعشرين من عمره، ثم عمل مساعداً للنيابة فوكيلاً للنيابة في مديرية الغربية، وفاز بعضوية مجلس النواب. كما عمل بوزارة الداخلية مديراً للتحقيق بها ثم وكيلاً لمديرية البحيرة عام ١٩٣٨

وظل بعد ذلك يتقلد العديد من المناصب التي كان آخرها مديراً لأسيوط كما اختير عضواً بمجلس الشيوخ في عام ١٩٤٧. بعدما استقر المقام به وبأسرته في مدينة القاهرة.

ونال الشاعر عزيز أباطة العديد من الجوائز عن إنتاجه الأدبي.. كان من أهمها الفوز بجائزة الدولة التقديرية في الأدب والشعر عام ١٩٦٥، ويقال إنه بدأ في تأليف الشعر وهو في سن العاشرة من عمره<sup>(١)</sup>. ولكنه لم يعرف النبوغ في المجال ذاته إلا في كهولته، فتبوأ مكانة في الطبقة الأولى من شعراء العربية، واشتهر بلا جهد في الشهرة ولا جهاد، وفرضت قدرته نفسها على تقدير الناس، وإذا هو ينهض من فراشه فيرى نفسه ذائع الصيت! خاصة في مجال الشعر التمثيلي الذي أجاده مثل أحمد شوقي تماماً<sup>(٢)</sup>.

---

(١) هذا الرجل من مصر - لمعى المطيعي.

(٢) حديقة الأدباء - طاهر الطناحي - مصدر سابق.

## إبراهيم ناجي صاحب الأطلال

وهذه المرة أيضا فضلنا أن نبدأ الحديث عن شاعرنا الكبير إبراهيم ناجي صاحب الأطلال، وعلاقته وأشعاره بسيدة القصيدة العربية كوكب الشرق أم كلثوم، مما كتبه أم كلثوم نفسها وذلك في أوراقها الخاصة، هذه الكتابة رأينا فيها طعم ومذاق خاص، ذلك لأنها تقترب كثيراً من رحلة حياة هذا الشاعر الفنان، وتبين لنا كيف كان اللقاء الأول بينهما!!

ولسنا في حاجة إلى أن نكرر ما سبق وذكرناه من أن شاعر الأطلال الدكتور إبراهيم ناجي قد استعاد مجد كلماته، بل واستمر ذلك المجد في تألق دائم حتى يومنا هذا، عندما تغنت سيدة القصيدة العربية بأشعاره.. رغم أن له أكثر من ديوان من الأشعار الجميلة.. وكما سوف نعرف ذلك بعد لحظات!

ومما قالته أم كلثوم عن شاعرنا صاحب الأطلال قولها: «ولا أنس الشاعر إبراهيم ناجي، وقد رأيته حين كان يزور نقابة الموسيقين، وكان يبدو بانساً محطماً يجلس إلى الموسيقين، فتحس أنه يطوى صدره على قصة حب بلا أمل، ولم نتحدث في الشعر مرة واحدة، ولكنني كنت أحس فيه رقة المشاعر التي لا بد أن تؤتي ثماراً فنية طيبة سواء شعرية أو موسيقية، وقرأت له ديوانه بعد أن مات ووقفت عند الأطلال: «وهل رأى الحب سكارى مثلنا»!، ودفعت بالقصيدة إلى رياض السنباطي الذي قال: ستكون الأطلال حدثاً فنيا لا نظير له ولعل الذي يميز ناجي صدق إحساسه فإن صدق الإحساس هو شرط النجاح في أي عمل فني..».

وبخلاف ما ذكرته أم كلثوم عن أول لقاء لها مع ناجي. ترددت أقاويل كثيرة حول هذا التعارف وبالذات عن ارتباط أم كلثوم بقصيدته الاطلال.. وقد فضلنا كما سبق وذكرنا أن يكون هذا الحديث على لسان أم كلثوم من دون غيرها.

ومما روته أم كلثوم عن هذه العلاقة نفهم أنها لم تتغن بأشعاره إلا من بعد رحيله، وهو يتساوى في هذه الخصوصية مع أمير الشعراء شوقي - الذي تقابلت معه أم كلثوم كثيراً من قبل رحيله - ومع ذلك لم تغن أشعاره إلا بعد الرحيل!!

إذ من المعروف أن الدكتور إبراهيم ناجي قد توفي في عام ١٩٥٣ : أما أم كلثوم فقد غنت قصيدة الأطلال في عام ١٩٦٦ !، ولقد تصادف أن تديعها كوكب الشرق في حفل عام أقامته بعد رحيل الموسيقار محمد القصبجي، وبالتالي لم يستخدم في لحنها العود.

وتقول كلمات قصيدة الأطلال التي غنتها أم كلثوم:

كان صرحاً من خيال فهوى  
واروعنى طالما الدمع روى  
وحديثاً من أحاديث الجوى

يا فؤادى لا نسل أين الهوى  
استننى واشرب على أطلاله  
كيف ذاك الحب أمسى خبيراً

\*\*\*

بفر عذب المناداة رقيق  
من خلال الموج مدت لغريق  
أين فى عينيك ذياك البريق

لست أنساك وقد أغريتنى  
ويد تمتد نحوى كيد  
ويريق يظماً السارى له

\*\*\*

طائر الشوق أغنى ألى  
وتجنى القادر المحنكر  
والثوانى جمرات فى دمس

يا حبيباً زرت يوماً أيكه  
لك إبطاء المدل المنعر  
وحنينى لك يكرى أضلعى

\*\*\*

إننى أعطيت ما استبقيت شيئاً  
لرأبقيه وما أبقى على  
والامر الأسر والذنيا لدى

أعطنى حريتى أطلق بلى  
أه من قبلك أدمى معصى  
ما احتفاظى بعهود لر تصنها

\*\*\*

فيه عز وجلال وحياء  
ظالم الحسنى شهى الكبرياء  
ساهر الطرف كأحلام المساء

أين من عينى حبيب ساحر  
واثق الخطوة يمشى ملكاً  
عبق السحر كأنفاس الرى

\*\*\*

فتنة تمت سناء وسنى

أين منى مجلس أنت به

وأنا حب وقلب هائبر  
ومن الشوق رسول بيننا

\*\*\*

وفراش حائر منك دنا  
وندير قدم الكأس لنا

هل رأى الحب سكارى مثلنا  
ومشينا فى طريق مقرر  
وضحكنا ضحك طفلين معاً

\*\*\*

كبر بنينا من خيال حولنا  
نثب الفرحة فيه قبلنا  
وعلوننا فسبقنا ظلنا

وانتبهنا بعدما زال الرحيق  
بنظرة طاحت بأحلام الكرى  
وإذا النور نذير طالع  
وإذا الدنيا كما نعرفها

\*\*\*

وأقننا لبت أنا لا نفيق  
وتولى الليل والليل صديق  
وإذا الفجر مطل كالمحريق  
وإذا الأحباب كل فى طريق

أيها السامر تغفر  
وإذا ما التنا أمر جرح  
فتعلم كيف تنسى

\*\*\*

تذكر العهد ونصحو  
جد بالتذكرك جرح  
وتعلم كيف تمحو

يا حبيبى كل شىء بقضاء  
ربما نجمعنا أقدارنا  
فإذا أنكر خلد خله  
ومضى كل إلى غايته

\*\*\*

هذه الأبيات التى تغنت بها كوكب الشرق أم كلثوم من كلمات الدكتور إبراهيم ناجى  
قد نشرها ضمن قصيدة طويلة بديوانه الذى صدر تحت عنوان «ليالى القاهرة»، هذا الديوان  
نشرت به كذلك مقدمة أوضحت لنا قصة هذه القصيدة.

ومما جاء بها قول الشاعر: «إن هذه قصة حب عائر...! التقيا وتحابا.. ثم انتهت القصة  
بأنها قد صارت أطلال جسد، وصار الشاعر أطلال روح.. وهذه الملحمة.. تسجل كل  
وقائعها كما حدثت تماماً!».

ويتضح لنا من قول الشاعر فى المقدمة السابقة بأنها ملحمة فى صورة قصيدة طويلة.

وهى بالفعل كذلك. إذ يبلغ عدد أبياتها ١٣٤ بيتا.. وعدد مقاطعها ستة وعشرون مقطعا.. وكل مقطع يحوى أربعة أبيات أو أكثر.. وكما سوف نبين ذلك حالا..  
ففى المقطع الأول توجد أربعة أبيات، اختارت منها أم كلثوم ثلاثة أبيات فقط.. وهى الأبيات التى تقول فى مطلعها:

يا فؤادى لا تسل أين الهوى.

وبذلك أهملت البيت الرابع الذى يقول فيه إبراهيم ناجى.

وساطاً من ندأى حلر همر تواروا أبدأ وهو انطوى

وكذلك بلغ عدد أبيات المقطع الثانى أربعة.. أهملتهم جميعا أم كلثوم.. أما عدد أبيات المقطع الثالث فبلغت على غير العادة بالنسبة لهذه القصيدة ثمانية أبيات اختارت أم كلثوم منها ثلاثة أبيات فقط.. وهى التى تقول فى مطلعها:

لست أنساك وقد أغريتنى

أما الأبيات الخمسة التى تركتها أم كلثوم فيقول فيها الشاعر ناجى:

ياغراماً كان منى فى دمي	قدراً كالموت أوفى طعمه
ما قضينا ساعة فى عرسه	وقضينا العمر فى مأتمه
ما انتزاعى دمة من عينه	واغتصابى بسمة من فمه
لميت شعرى أين منه مهرى	أين يمضى هارب من دمه

هذه أربعة أبيات.. أما البيت الخامس فى المقطع نفسه فجاء موقعه فى ذات المقطع رقم سبعة. وهو الذى تقول كلماته:

آ يا قبلة أقدامى إذا شكت الأقدام أشواك الطريق

وفى المقطع الرابع الذى بلغت أبياته أربعة أيضا لم تغن منه أم كلثوم ولا بيت واحدا.. وكذلك فعلت مع أبيات المقطع الخامس وعددها أيضا أربعة والمقطع السادس وعددها أربعة، والمقطع السابع وعددها كذلك أربعة!!

ثم اختارت أم كلثوم من المقطع الثامن ثلاثة أبيات من أصل أربعة، وهى التى تقول فى مطلعها:

أين من عيني حبيب ساحر!

ثم أهملت البيت الرابع الذى قال فيه إبراهيم ناجى:

مشرق الطلبة في منطته لغة النور وتعبير السماء

ليس هذا فقط .. بل غيرت في البيت الأول من هذا المقطع كلمة «نبل» واختارت بدلاً منها كلمة «عز» .

والملاحظة الهامة الواجب الإشارة إليها في هذا السياق، أن موقع الأبيات الثلاثة السابقة الإشارة جاء ترتيبها وفق ما تغنت به أم كلثوم أرقام ١٣، ١٤، ١٥، مع أن موقعها بالنسبة للقصيد التي كتبها ناجي ونشرها في ديوانه المشار إليه هو أرقام ٣٣، ٣٤، ٣٥! .

ومن المقطع التاسع وعدد أبياته أربعة اختارت أم كلثوم ثلاثة منها وهي التي تقول في مطلعها:

أبن منى مجلس أنت به

وقد أهملت بذلك البيت الرابع الذي يقول فيه الدكتور إبراهيم ناجي:

وسقانا فانتفضنا لحظة لغبار آدمى مسنا

والغريب أن أم كلثوم قد أهملت بعد ذلك كل أبيات المقطع العاشر والمقطع الحادي عشر والمقطع الثاني عشر والثالث عشر، وعدد أبيات كل منهم أربعة! ثم عادت واختارت من المقطع الرابع عشر ثلاثة أبيات من أصل أربعة، وهي التي تقول في مطلعها:

يا حبيباً زرت يوماً أيكه

وأما البيت الرابع والذي لم تختره أم كلثوم فيقول فيه إبراهيم ناجي:

وأنا مرتب في موضعي مرهف السمع لوقع القدم

وقد غيرت أم كلثوم كلمة «أعظمى» واختارت بدلاً منها كلمة «أضلعى» والتي ذكرها ناجي في البيت الذي يقول فيه:

وحنينى لك يكوى أعظمى والثوان جمرات في دمي!

كما جاء موقع هذه الأبيات فيما تغنت به كوكب الشرق مخالفاً لموقعها في القصيدة الأصلية .. حيث جاءت أرقامها ٧، ٨، ٩ في حين احتلت هذه الأبيات نفسها أرقام ٥٧، ٥٨، ٥٩ في القصيدة التي نشرها ناجي في الديوان المشار إليه.

وكذلك لم تغن أم كلثوم أية أبيات من المقطع الخامس عشر وعددها أيضاً أربعة .. ثم عادت واختارت من المقطع السادس عشر ثلاثة أبيات من أصل أربعة وهي التي تقول في مطلعها:

أعطني حريتي أطلق يدي!

وأما البيت الذى أهملته فيقول فيه إبراهيم ناجي:

ها أنا جنت دموعى فاعف عنها      إنها قبلك لمرتبذل لحي

وجاء موقع الأبيات الثلاثة السابقة بالنسبة لما غنته أم كلثوم أرقام ١٠، ١١، ١٢ فى حين احتلت فى القصيدة المنشورة بالديوان أرقام ٦٥، ٦٦، ٦٧.!

وكذلك لم تغن أم كلثوم أية أبيات من المقطع السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر.. وعدد أبيات كل مقطع منهم أربعة، أما المقطع العشرين الذى لم تغن منه أم كلثوم ولا بيت واحد.. فعدد أبياته ثمانية!!.

ومن المقطع الواحد والعشرين غنت أم كلثوم ثلاثة أبيات من أصل ٢٦ بيتاً. وهى الأبيات التى تقوم فى مطلعها:

أياها الشاعر تغنو

وبذلك تكون قد أهملت من هذا المقطع وحده ثلاثة وعشرين بيتاً!! كما جاء ترتيب هذه الأبيات فيما غنته أم كلثوم أرقام ٢٦، ٢٧، ٢٨ فى حين جاء موقعها فى الديوان أرقام ٩٥، ٩٦، ٩٧.

والمقطع الوحيد الذى التزمت أم كلثوم بعدد أبياته، كان هو المقطع رقم ٢٢.. وهى الأبيات التى اختتمت بها كوكب الشرق ما غنته من الاطلاع.. والتى تقول فى مطلعها:

يا حبيبى كل شىء بقضاء!

ويبقى بعد ذلك من القصيدة نفسها والتى نشرها إبراهيم ناجي فى ديوانه المشار إليه أربعة مقاطع أخرى، ولم تغن منها أم كلثوم ولا بيت واحد. وكما سبق وذكرنا فإن العدد الكلى لأبيات هذه القصيدة بلغ ١٣٤ بينما غنت منها أم كلثوم ٣٢ بيتاً فقط.!

\*\*\*

وإذا ما تركنا الأطلال وما وقع لها من تعديل وتبديل.. ونظرنا إلى القصيدة الثانية التى تغنت بها سيدة القصيدة العربية للشاعر ناجي.. وهى قصيدة «مصر» والتى لحنها أيضاً الفنان رياض السنباطي.. نجد أن أم كلثوم قد اختارت منها سبعة أبيات فقط من أصل سبعة عشرة بيتاً. ورغم ذلك جاء التعديل بها طفيفاً إذا ما قيس بما وقع للأطلال..

ولسوف نتبين ذلك بعدما نستمع إلى الأبيات إلى اختارتها أم كلثوم وغنتها في عام ١٩٦٩ حيث إذيعت في التوقيت نفسه على كل موجات الاذاعات العربية، وغنى عن البيان الأهداف والدوافع التي من أجلها تغنت كوكب الشرق بهذه القصيدة والتي قالت في أبياتها:

أجل، إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا	فمصروى الهرب والجنة الكبرى
خلقنا نولى وجهنا شطر حبها	ونبذل فيه الصبر والجهد والعمرا
سلاماً شباب النيل فى كل موقف	على الدهر نغنى المجد للنيل والفخرا
تعالوا فقد حانت أمور عظيمة	فلا كان منا غافل يصر العصرا
تعالوا نقل للصعب أهلاً فإننا	شباب الفنا الصعب والمطلب الوعرا
شباب إذا نامت عيون فإننا	بكرنا بكور الطير نستقبل الفجرا
شباب نزلنا حومة المجد كلنا	ومن يفتدى للنصر ينتزع النصرا

\*\*\*

وقد نشر الدكتور إبراهيم ناجى هذه القصيدة بنفس العنوان فى ديوانه «ليالى القاهرة، الذى ضم أيضاً قصيدة الأطلال... وكان من أهم التعديلات التى أجرتها أم كلثوم على هذه القصيدة اختيارها البيتين الأول والثانى والثى تقول فيهما كمطلع:

أجل إن ذا يوم لمن يفتدى مصرا

وقد أهملت بعد ذلك سبعة أبيات قال فيها الشاعر:

نبت بها روح الحياة قوية	ونقتل فيها الضنك والذل والفقرا
نحطّر أغلالاً ونحور حوائلا	ونخلق فيها الفكر والعمل الحرا
أجل إن ماء النيل قد مر طعمه	تناوشه الفتاك ليرعوا شبرا
فدالت به الدنيا وريعت حمائر	مغررة تستقبل الخير والبشرى
وحامت على الأفق الحزين كواسر	إذا ظفرت لا ترحر الحسن والزهرا
نحط كما حط العقاب من الذرى	وتلتهمر الأفنان والزغب والوكرا
فهلا وقفتر دونها تمنحونها	أكفأ كماء المزن تمطرها خبيرا

ثم عادت أم كلثوم لتختار من هذه القصيدة بقية ما غنته بدءاً من البيت التاسع وفق ترتيب إبراهيم ناجى فى ديوانه، وقد أهملت ثلاثة أبيات وموقعها فى القصيدة الأصلية أرقام ١٠، ١١، ١٢..

وهى التى قال فيها الشاعر:

تعالوا نشيد مصنعا ربُ مصنع  
تعالوا نشيد ملجأ ربُ ملجأ  
تعالوا لنمحو الجهل والعلل التي  
بدر على صناعتنا المغنم الوفرا  
بضر حطام البؤس والأوجه الصغرا  
أحاطت بنا كالسيل تغمرنا غمرا

\*\*\*

ولشاعرنا الكبير، شاعر الأطلال الدكتور إبراهيم ناجي.. حق كبير علينا.. هذا الحق يقتضى منا وفق ما سرنا فيه فى ضوء المنهج السابق، ضرورة أن نسوق قبساً من نور ما قيل فى سيرة حياته الذاتية ولقد حفلت بها عشرات الكتب.. حيث تناولت هذه السيرة قصة حياته منذ مولده وحتى رحيله.

ومما قيل فى هذا السباق أن إبراهيم ناجى ولد فى حى شبرا بالقاهرة فى عالم ١٨٩٨، وتخرج فى مدرسة الطب فى عام ١٩٢٢ فعين طبيباً بالسكة الحديد ثم فى وزارة الصحة فوزارة الأوقاف.

ورغم ارتباط إبراهيم ناجى بالطب ومواده الدراسية إلا أنه كان قد عكف على دراسة الأدب خاصة الأدب العربى القديم، فقرأ ديوان أبى الطيب المتنبى وابن الرومى، كما عاش فترة من حياته مع أبى فراس.

ولم تتوقف ثقافته على العربية فقط، بل قرأ الأدب الأجنبى، ولذلك كان فى بداية حياته الأدبية مفتوناً بالكاتب الإنجليزى الشهير «تشارلز ديكنز».

ولقد ذكر ناجى نفسه ذلك فى مقدمة كتابه «مدينة الأحلام» حيث قال: «إن ديكنز فتح له آفاق الجمال».

وبدأ ناجى محاولاته الشعرية الأولى وهو فى الحادية عشرة من عمره، وبعد تخرجه من كلية الطب بدأ يتردد على مجالس الأدباء.. حيث شارك فى تأسيس جماعة أبوللو للشعر فى عام ١٩٣٢، وبعد عام من تأسيس هذه الجماعة ظهر ديوانه الأول «وراء الغمام» وفى عام ١٩٥١ أصدر ديوانه الثانى «ليالى القاهرة»..

وبعد رحيله بأربع سنوات صدر ديوانه الثالث «الطائر الجريح» والذى جمعه شاعرنا الراحل أحمد رامى<sup>(١)</sup>.

رحل إبراهيم ناجى عن عالمنا فى عام ١٩٥١.. وظلت ذكره عالقة فى القلوب والأذهان تتجدد كل حين.. عندما تردد أم كلثوم كلماته عن الأطلال.

(١) دائرة المعارف الأدبية.

## ثلاثة أبيات عاطفية فقط!!

يعتبر شاعر الوطنية الكبير إسماعيل باشا صبري من أوائل الشعراء المصريين الذين ارتبطت بكلماتهم أم كلثوم في بداية مسيرة حياتها الفنية، وهذا يؤكد ما سبق وذكرناه عن ذكاء وثقافة هذه الفنانة الخالدة. إذ اختارت من كلمات هذا الشاعر ثلاثة أبيات فقط.. اتسمت كلماتها بالصعوبة رغم ما بها من معانٍ في غاية السمو والرفقة، ثم دفعت بها إلى الملحن الكبير آنذاك الشيخ أبو العلا محمد لكي يضع لها الألبان.

ووفق إجماع المؤرخين والنقاد.. فقد تربع هذا الشاعر على عرش القصيدة الوطنية جنباً إلى جنب مع أحمد شوقي أمير الشعراء وحافظ إبراهيم ومحمود سامي البارودي وعبدالله النديم وآخرين.. وقد ذكر لنا ذلك بالتفصيل مؤرخنا العظيم عبدالرحمن الرافعي.. بل إن هذا المؤرخ قد وضع اسماعيل صبري في مرتبة متقدمة عن كل من شوقي وحافظ إبراهيم.. وسوف نبين ذلك أكثر بعدما نعيش ولو للحظات مع ما شددت به أم كلثوم من كلمات لهذا الشاعر الكبير..

ففي عام ١٩٢٦ غنت أم كلثوم ثلاثة أبيات من تأليف الشاعر اسماعيل باشا صبري واختارت لها عنواناً يقول: «يا آسى الحى». ثم سجلتها على أسطوانة جرامفون في العام نفسه.

وتقول كلمات هذه الأبيات:

يا آسى الحى هل فتشت فى كبدى	وهل تبيننت داه فى زواياها
أواه من حرق أودت بمعظمها	ولر تنزل تمشى فى بقاياها
يا شوق رفقا بأضلاع عصفت بها	فالقلب يخفق زعراً فى حناياها

\*\*\*

وبالرجوع إلى ديوان هذا الشاعر الكبير والذي نشر به هذه القصيدة وجدنا أن عنوانها الذى اختاره المؤلف هي: «كبد مقروحة».. وليس «يا آسى الحى»، كما ذكر ذلك كتاب

النصوص الكاملة لما تغنت به كوكب الشرق . كما أن إسماعيل صبرى قد نشرها فى عام ١٩١٣ من قبل أن يضعها فى ديوانه المشار إليه .. وهى قصيدة مكونة بالفعل من ثلاثة «أبيات!». وهى الأبيات التى غنتها أم كلثوم، وقد غيرت بعض كلماتها خاصة كلمات البيت الثانى الذى تقول فيه

أولاً من حرق أودت بمعظمها  
ولم تنزل تتمشى فى بقاياها  
إذ غيرت كلمة «بمعظمها» .. بدلاً من كلمة «بأكثرها» التى كتبها الشاعر فى ديوانه!  
وقد سبق لنا القول بأنها غيرت كذلك عنوان القصيدة مستعينة فى ذلك بأولى كلمات البيت الأول ليكون ذلك هو العنوان.

\*\*\*

ومن بعد حديث الديوان .. نعود مرة أخرى لكى نتحدث عن بعض اللقطات الحيوية فى حياة هذا الشاعر الكبير من حيث النشأة والميلاد وملامح عهده الأدبى . حيث أجمعت معظم المصادر المروية تاريخاً أن إسماعيل باشا صبرى ولد فى ١٦ فبراير عام ١٨٥٤ بمدينة القاهرة، والتحق بمدرستى التجهيزية والإدارة «الحقوق» ، وأتم دراسته بمصر فى عام ١٨٧٤ ثم التحق بالبعثة المصرية فى فرنسا ونال هناك شهادة الليسانس فى الحقوق من كلية «أكس» على ١٨٧٨ ، ولما عاد إلى مصر التحق بالمناصب القضائية حتى عين وكيلاً لوزارة الحفانية «العدل» فى عام ١٨٩٩ .. ثم اعتزل الخدمة فى عام ١٩٠٧ متفرغاً للأدب والشعر<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وكانت حياة هذا الشاعر الكبير زاخرة بالعمل والإنتاج بالقياس إلى وظيفته فى الأعوام الخمسين الأولى .. وقد قضى السنوات الباقية من عمره هادئاً بين كلماته وأشعاره، حيث قرأ الشعر العربى القديم وتأثر بالشاعر البحترى فى إحكام أسلوبه وصقل الديباجة وحلاوة الموسيقى<sup>(٢)</sup>.

ورغم حياته الطويلة التى امتدت لأكثر من سبعين عاماً إلا أنه لم يخرج لنا ثمار دراسته

(١) شعراء الوطنية فى مصر - عبدالرحمن الرفاعى - كتاب دار المعارف.

(٢) أدباء لا تغرب عنهم الشمس - فتحي رزق.

فى الخارج ولم ىجنح إلى كتابه المسرحية الشعرية التى كانت منتشرة آنذاك فى أوربا فى هذه الأونة.

وىؤكد المؤرخ عبدالرحمن الرافعى أن مواهب إسماعيل صبرى فى الشعر قد ظهرت منذ نعومة أظفاره، وظلت تنمو وتزدهر طوال حياته، وكانت شاعريته ووطنيته عنوان مجده وموضع فخاره، كما كان معاصروه يلقبونه بشيخ الشعراء، واعترف له بذلك زملاؤه شوقى وحافظ ومطران، وغيرهم. وتجلى فى شعره القومى روح الحب الخالص للوطن.. وكذلك كانت وطنيته عميقة الجذور.. وهو من أصدق أصدقاء الزعيم الوطنى مصطفى كامل الذى أيدته فى جهاده منذ الساعات الأولى لكفاحه.

وعاش شاعرنا الكبير إسماعيل صبرى حياة كريمة وقد توفى فى ٢١ مارس عام ١٩٢٣ بعد مرض طويل مخلفاً وراءه كنوزاً من الشعر والوطنية والفضائل النفيسة.. على حد قول عبدالرحمن الرافعى.

## ثلاث قصائد وطنية

يبدو أن تعامل سيدة القصيدة العربية كوكب الشرق أم كلثوم، مع الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل قد جاء في فترة إقدام أم كلثوم على التغنى بالقصائد الوطنية والتي ارتبطت في حياتنا بالمناسبات!.

ودلينا إلى ذلك أنها غنت لهذا الشاعر ثلاث قصائد عبرت من خلالها بالفعل عن ثلاث مناسبات وطنية وقومية.. الأولى غنتها في عام ١٩٥٦ في مناسبة إعلان دستور جديد لمصر بعد ثورة يوليو، والثانية شددت بها كوكب الشرق بعد هذا التاريخ بعامين.. أما الثالثة فقد غنتها بعد هذا التاريخ أيضا بعشر سنوات..

وليس لدينا أية مؤشرات سواء مسموعة أو مكتوبة عن كيفية اللقاء الذي تم بين أم كلثوم والشاعر محمود حسن اسماعيل، وهو من شعراء مصر المعاصرين الذين كتبوا كل قصائدهم تمجيداً في الوطنية المصرية وفي عروبته. وقد يكون المنصب الذي تولاه محمود حسن اسماعيل في هذه الفترة من حياته كمراقب ومستشار للإذاعة المصرية دخل كبير في إتمام هذا اللقاء!.

وعلى أية حال فسوف نعيش مع الكلمات التي غنتها أم كلثوم.. وكذلك مع ما كتبه الشاعر محمود حسن اسماعيل.. لنعرف حجم التغييرات التي أجرتها سيدة القصيدة العربية، وقيمة هذه التعديلات.

فقد غنت أم كلثوم أولى قصائد شاعرنا محمود حسن اسماعيل في شهر يناير عام ١٩٥٦.. بمناسبة إعلان الدستور الجديد، ولم تسجلها على أسطوانات، وهي من تلحين الملحن الكبير رياض السباطي..

وتقول فيها.

صباحاً ينور في المشرقين  
ويبنى الحياة على الضفتين

رأيت خطاها على الشاطئين  
يبث الخلود ويحيى الوجود

\*\*\*

بلادى فدينتك هذا الصباح  
على وجهه قصة للكفاح

بشير من الحير والسعد لاح  
تمد الجنى.. فاقطنى باليدين

\*\*\*

محا من ضفافك ليل الطغاة  
وأحباك.. حتى فهرت الحياة

وأعلى الكرامة فوق الحياة  
وقدت الزمام إلى الفرقدين

\*\*\*

وأرضك ما عاد ظلامها  
سلى النفس عنها.. فأحلامها

بكفيه تزيل أيامها  
تفتح بالرزق فى جنتين

\*\*\*

حماها، وحرر منها الجبين  
وكانت من الظلم تشكو الأنين

ورد جناها إلى الغارمين  
فترتد دمعها، دمعين

\*\*\*

صحت واستردت إباء العلم  
وفجراً من البعث بمحو الظلم

وأضحت نشيداً أبى النغم  
وتهنو إلى نوره كل عين

\*\*\*

وبالرجوع إلى الديوان الذى نشر به الشاعر محمود حسن اسماعيل هذه القصيدة..  
وجدنا إن اسمه: ديوان «أغانى الحرية»، ونشر فى الجزء الثانى من كتاب الأعمال الكاملة  
للشاعر.

وفى مقدمة فى أسطر قليلة كتبها الشاعر تحت عنوان قصيدة «الصباح الجديد» والتي  
نشرت بالديوان المشار إليه قال: «فى ١٦ يناير عام ١٩٥٦ غنتها أم كلثوم ومصر الثائرة  
المتحررة تعلن دستورها ودستور ثورتها وهى ماضية إلى الأمام بعد أن تخلصت من نير  
الاستبداد والإقطاع والاحتلال.. راحت ترسى قواعد البناء لمجتمعها الجديد. وترجمت هذه  
القصيدة إلى اللغة الصينية».

ولقد لاحظنا فى السياق نفسه أن أم كلثوم قد اختارت من أبيات قصيدة «الصباح  
الجديد» ١٢ بيتاً فقط من أصل ١٨ بيتاً كتبها الشاعر محمود حسن اسماعيل.. ووفقاً  
لمنهجنا السابق والذى اتبعناه مع غيره من شعراء أم كلثوم خاصة بالنسبة لبيان أصل

القصيدة وما أدخل عليها من تعديلات، أتضح لنا أن سيدة القصيدة العربية قد التزمت في اختيارها للأبيات التي تغنت بها.. بالترتيب الذي وضعه الشاعر دون تبديل أو تأخير أو تعديل! رغم أنها قد أهملت ستة أبيات.. نحن نعيد نشرها هنا.. حتى تكتمل الفائدة..

وهي الأبيات التي قال فيها شاعرنا محمود حسن اسماعيل:

وسارت موحدة في الجهود      بعزم قوى وبأس شديد  
ومجد على الدهر ماض تليد      سنحييه بالروح والساعدين

\*\*\*

له الله.. صبح قوى الضياء      جرت نار ثورته في الدماء  
وطارت به مصر نحو السماء      ومدت ضحاها على الخافقين

\*\*\*

وأعطت جناها عمير الثمار      بشورى من الرأى فيها منار  
بلادى تألقت ضوء النهار      وعمت بشائرا الشاطنين

\*\*\*

وفي عام ١٩٥٨ كررت أم كلثوم تجربة أن تغنى إحدى قصائد محمود حسن اسماعيل، وهذه المرة اختارت قصيدة عن بغداد سجلتها على أسطوانة صوت القاهرة ولحنها كذلك رياض السنباطي.

وهي التي قالت فيها:

بغداد يا قلعة الأسود

يا كعبة المجد والخلود

يا جبهة الشمس للوجود

سمعت في فجرك الوليد      توهج النار في القيود  
وبيرق النصر من جديد      يعود في ساحة الرشيد

بغداد يا قلعة الأسود

زأرت في حالك الظلام      وقمت مشدودة الزمام

للنور للبعث للأمام

لبأسك الظافر العتيد      ومجدك الخالد التليد

عصفت بالنار والحديد وعدت للنور من جديد

بغداد يا قلعة الأسود

يا عرب دوخوا الليالى

وحطمووا صخرة المحال

ضموا على شعلة النضال

مواكب البعث والصعود لقمة النصر فى الوجود

عردوا الأيام كمر وعردى كالنجر فى زحفك الجديد

بغداد يا قلعة الأسود

قد أذن الله فى علانه أن ينهض الشرق من كراه

ويرحل الليل من سماء

وتسطح الشمس من جديد من أمسنا للثائر المجيد

بغداد يا قلعة الأسود

\*\*\*

والغريب أننا حين رجعنا لكل دواوين الشاعر لم نعثر فيها على أصل لهذه القصيدة!! بل وجدنا أن الشاعر محمود حسن اسماعيل قد نشر فى هذه الدواوين قصيدتين عن بغداد.. الأولى بعنوان «بغداد» فى ديوانه «لا بد».. والثانية بعنوان «غصبة الثائر» بل وأكثر من ذلك، فإن شاعرنا قد طبع أحد دواوينه فى مدينة بغداد فى ١٩٧٢. وأيضا لم ينشر فيه القصيدة المشار إليها.

وهذه الملحوظة تحتاج إلى دراسة واستبيان للوقوف على سرها وربما يرجع السبب فى عدم نشرها إلى جامعى أعمال الشاعر محمود حسن اسماعيل حيث لم يلتفتوا إليها.. ونحن هنا ننوه عنها من أجل تدارك ذلك النقص إن امكن فى الطباعات الجديدة لدواوين هذا الشاعر الكبير.

\*\*\*

وفى عام ١٩٦٦ اكتملت رحلة أم كلثوم مع قصائد محمود حسن اسماعيل حيث غنت له قصيدة، «ياربى الفيحاء».. فى فبراير من العام نفسه وأيضا من تلحين رياض السباطى.

وهي التي تقول فيها:

والتفت في موكب النصر يدانا  
وانبرت في الشرق تحمى المهرجانا  
واسأل التاريخ عنا والزمانا  
ودمأحراً وروحاً وجناناً  
صيحة الفجر فلبينا الأذانا  
يتغنى الدهر فيه بعلانا  
وحدة تجرى حياة في دمانا  
والبطولات رحاباً وجنانا  
سيرة للمجد يرويها هوانا  
مثلما كنا على الدنيا وكنا  
وحدا الشعبين قلباً ولسانا

وفق الله على النور خطانا  
وحدث شمس الضحى أعلامنا  
لا تسل عنا ولا كيف لقانا  
نحن كنا مهجة واحدة  
بارك الله خطانا وسرت  
ومضينا في طريق واحد  
عربي أشعلت أمجاده  
يا ربى الفيحاء.. حيثك العلا  
هذه أيامنا قد رجعت  
في صباح الشرق عدنا أمة  
بردى والنيل في يوم العلا

\*\*\*

ولقد لاحظنا بعض التغييرات التي أجرتها أم كلثوم على هذه القصيدة، حين رجعنا إلى الديوان الذي نشرت به.. واسمه ديوان «أغاني الحرية». منها علي سبيل المثال عنوان القصيدة ذاته. حيث حذفت ياء النداء واكتفت أم كلثوم بكلمة «ربى» فقط! ومع ذلك فقد التزمت أم كلثوم بعدد أبيات هذه القصيدة كما هي موجودة في الديوان المشار إليه.. والتي بلغت أحد عشر بيتاً. وقد كتبها الشاعر متأثراً بحادث قيام أول وحدة عربية في العصر الحديث بين مصر وسوريا.. ودليل ذلك قوله في سطور كتبها كمقدمة لهذه الأبيات: «في ١١ فبراير عام ١٩٥٨، وفجر الوحدة العربية يشرق من جديد يدوى نفيده في سماء العالم كله، معلنا وحدة مصر وسوريا ومولد الجمهورية العربية المتحدة»..

ونلاحظ أن أم كلثوم قد تغنت بهذه الكلمات بعد ضياع الوحدة بأكثر من سبع سنوات، ومعنى ذلك أن الشاعر كتب قصيدته «يا ربى الفيحاء» في مناسبة وطنية، ثم غنتها سيدة القصيدة العربية في مناسبة قومية أخرى، وربما أرادت أم كلثوم من وراء ذلك أن تذكر الناس بهذا الحدث الفريد.. ومع ذلك لم يتذكروه.

ومن أقوى الملاحظات التي دونها على هامش هذه القصيدة.. أن أم كلثوم لم تهمل منها ولا بيت واحد.. وبالتالي فقد أصبحت هذه القصيدة في عداد القصائد القليلة التي لم تشهد تغييرات كبيرة حين أقبلت على الشدو بها.

\*\*\*

هذا عن القصائد الثلاث، فماذا عن شاعرنا محمود حسين اسماعيل؟! إن ذلك ما سوف نقف عليه من خلال الأسطر القليلة القادمة.

فقد ولد الشاعر محمود حسن اسماعيل في الثاني من شهر يوليو عام ١٩١٠ بقرية «النخيلة» مركز أبو تيج بمديرية أسيوط، ومن أسيوط حصل على شهادة البكالوريا ثم التحق بكلية دار العلوم التي تخرج منها في عام ١٩٣٦.. ثم عمل محرراً بمجمع اللغة العربية.. وكان موضع تقرير وحفاوة من كل أعضاء المجمع الذين تعرف عليهم.. ثم التحق الشاعر محمود حسن اسماعيل بعد ذلك بالاذاعة المصرية في عام ١٩٤٤ وتدرج في العمل الثقافي بالاذاعة وبرامجها وعين بعد ذلك مستشاراً للإذاعة.

نال جائزة الدولة في الشعر في عام ١٩٦٤ عن ديوانه «قاب قوسين».. بعد ذلك سافر شاعرنا إلى الكويت ليعمل هناك خبيراً في مراكز بحوث المناهج محافظاً على شاعريته حتى توفاه الله في ٢٧ ابريل عام ١٩٧٧.

وترك محمود حسن اسماعيل للساحة الأدبية على مدى عمره كله أربعة عشر ديواناً تمجد عيبر حياته وعمق تجربته التي عايش فيها تجربة الأمة العربية وآلامها، وعناوين هذه الدواوين هي: أغاني الكوخ - هكذا أغنى - أين المفر - نار وأصفاد - قاب قوسين - لا بد - التانهون - هدير البرزخ - صلاة ورفض - السلام الذي أعرفه - نهر الحقيقة - صوت من الله - موسيقى من الشرق - رياح الغيب. وقد نشرت جريدة الأهرام أشعار محمود حسن اسماعيل بدعوة من أنطون الجميل رئيس التحرير والشاعر أيضاً.. كما نشرت له مجلة الثقافة أيام أحمد أمين ومجلة الرسالة على أيدي محمد حسن الزيات<sup>(١)</sup>.

---

(١) هذا الرجل من مصر - لمعى المطيعي - مصدر سابق.

## وعلاقة خاصة بأم كلثوم

هذا الشاعر الذي ترجع جذوره إلى الأصول التركية.. رغم أنه من مواليد مدينة الزقازيق، وعاش أحلى أيام حياته الدراسية الأولى في مدينة المنصورة. له حكاية عجيبة مع أم كلثوم. وقد بدأت بينهما من قبل أن تلتقى بكلمات أشعاره، كما كانت هذه الفنانة العظيمة إلى جانب ذلك، سببا مباشراً في تقلد صالح جودت لقب «الاستاذ الكبير». وهو لا يزال طالباً في سن الخامسة عشرة من عمره.. في مدرسة المنصورة الثانوية!.

ولكن كيف حدث ذلك؟!.. إن صالح جودت نفسه يحكى لنا جانباً مهماً من هذه القصة والتي تعود جذورها إلى أيام شبابه الأولى.. وذلك في حوار أجرى معه في عام ١٩٧٣.. قال فيه بالحرف الواحد:

«حينما كنت طالباً في مدرسة المنصورة الثانوية، قرأت مقالاً في مجلة الصباح بامضاء «محمددين».. وهو الكاتب المعروف المرحوم محمد عبد الرزاق.. وكان من كبار الصحفيين في ذلك العهد. يهاجم فيه أم كلثوم هجوماً قاسياً، ولما كنت ومازالت متعلقاً بصوت أم كلثوم، فقد شحذت قلمي الصغير وكتبت مقالاً أذاع فيه عن أم كلثوم ويعتث به إلى المجلة وكنت قليل الأمل في أن ينشر، ولكن دهشتى كانت بالغة عندما وجدت المقال منشوراً بعنوان ضخم تحته بقلم الاستاذ الكبير صالح جودت..»<sup>(١)</sup>.

ومن المؤكد أن أم كلثوم قد قرأت هذا المقال، خاصة وأنه نشر في مجلة ثقافية وفنية كانت مشهورة إلى وقت قريب.. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا.. وهل كان لهذا الموضوع الخاص بدفاع صالح جودت عن سيدة الغناء العربي، علاقة باختيار الأخيرة كلمات من أشعاره لكي تشدو بها؟!.. لا أظن!، ذلك لأن صالح جودت كتب هذا المقال وهو في سن لم يكن فيها قد أتقن قول الشعر بعد كما أن المقال ذاته ربما نشر في الأربيعيات، وأم كلثوم غنت أشعاره في الستينيات!.

(١) مجلة الجديد العدد الصادر في ١٥/٦/١٩٧٣.

وقد يكون لانتماء شاعرنا صالح جودت للمحافظة التي جاءت منها أم كلثوم دافع آخر.. ربما! ولكن الأهم من كل ذلك.. هو عذوبة ورقة وتفرد وتميز كلمات صالح جودت التي أهلتها لكي يكون في عداد الشعراء العرب المعاصرين من الذين تركوا بصمات واضحة في عالم الشعر.

هذه المكانة كانت في الأصل هي الدافع الحقيقي نحو اختيار أم كلثوم لكلمات من أشعاره لكي تشدو بها. سواء في مجال القصيدة الوطنية أو الدينية.

ولسوف نلمس ذلك بوضوح حين نعيش مع كلمات صالح جودت وألحان رياض السباطي وصوت كوكب الشرق أم كلثوم. وقد غنت له قصيدتين الأولى بعنوان: «حبيب الشعب».. في عام ١٩٦٧ والثانية بعنوان: «الثلاثية المقدسة» في عام ١٩٧٢.

ففي القصيدة الأولى: «حبيب الشعب» قالت سيدة القصيدة العربية:

قروا سمعها من أعماقي فأنا الشعب

إبق فانث السد الراقى لمنى الشعب

إبق فانث الأمل الباقي لكل الشعب

أنت الخبير وأنت النور أنت الصبر على المقذور

أنت الناصر والمنصور

إبق فانث حبيب الشعب

دُم للشعب

قربانا جفنا الدمع وتيسنا

قربانا أرفنا السع وتعلمنا

قربانا وجدنا الجمع وتقدمنا

واذكر غده واطرح أمسه

وارفع هامة هذا الشعب

حبيب الشعب.. دُم للشعب

رغم المرح ومر الكأس

قرب للشعب وبدد بأسه

قربوا دفننا بعد النكسة

إبق فانث حبيب الشعب

قرب لله وقل للعاصي

عاشت مصر

وغدا ستأذن فى الناس طلع الفجر  
قمرإننا أعددنا العدة  
وتقدم أنت طريق العودة  
حبيب الشعب دمر للشعب

وغدا ستأذن فى الناس طلع الفجر  
قمرإننا أعددنا العدة  
فارسر أنت طريق العودة  
إبق فأنت حبيب الشعب

\*\*\*

وهناك ملحوظة رأينا من الواجب الإشارة إليها.. خاصة وأن أم كلثوم قد شدت بهذه القصيدة فى شهر يونية من عام ١٩٦٧.. وبعد أيام من وقوع النكسة.. وبالضبط حين أعلن جمال عبد الناصر اعتزاه الاستقالة من منصبه.

مما يدل دلالة واضحة على حضور هذا الشاعر وتعبيره الصادق عن أهم ما كان يمر به وطنه الجريح من أحداث جسام!.

وكذلك تدل هذه القصيدة دلالة أخرى على اتجاه أم كلثوم القوى نحو التغنى بالإغنيات الوطنية التى زادت جرعتها بعد وقوع هذه المصيبة.

والمستبع الواعى لخط سير قصائد وأغنيات كوكب الشرق فى الفترة نفسها وحتى يوم وفاتها.. سوف يلاحظ أن مؤشر إقبالها على القصائد الوطنية قد زاد عن ذى قبل!، كما سوف يلاحظ اختفاء كلمة جمال عبدالناصر من كل ما شدت به.. والاكتفاء فقط بالإشارة إليه عن أنه الزعيم!.

وعلى أيه حال فإننا حين رجعنا إلى ما دونه صالح جودت فى ديوانه الذى شمل هذه القصيدة، وجدنا عدة تغييرات أدخلها الشاعر بنفسه بناء على طلب أم كلثوم يوم لحنها رياض السنباطى.. وكان من أهم هذه التعديلات ما وقع للشطر الأول من البيت الثانى الذى قالت فيه أم كلثوم.

إبق فأنت الأمل الباقى

لكل الشعب

وقد كتبه الشاعر بقوله: إبق فأنت الأمل الباقى

لغد الشعب.

وكذلك فى البيت الذى تقول فيه أم كلثوم:

رغم المرح ومر الكأس

قل لله وقل للعاصى

هذا البيت غيرت فيه أم كلثوم لفظين الأول: استبدلت كلمة «الله» بدلاً من كلمة «الشعب» وكذلك كلمة «العاصي» بدلاً من كلمة العصر!

وأما في البيت الذي تقول فيه أم كلثوم:

وغدا ستأذن في الناس طلع الفجر  
وغدا ستحمى الأجراس يوم النصر

فكان في الأصل الذي كتبه صالح جودت:

وغدا ستأذن في الناس طلع الفجر  
وغدا ستحمى الأجراس يوم النصر

والملاحظة الأخيرة والمهمة هي أن أم كلثوم غيرت كذلك في عنوان هذه القصيدة حيث أصبح يقول: «حبيب الشعب».. بدلاً مما كتبه المؤلف وكان «دم للشعب»!

\*\*\*

وفي عام ١٩٧٢، وبالضبط في يوم ٢٥ نوفمبر من عام ١٩٧٢. شدت أم كلثوم بقصيدة «الثلاثية المقدسة».. وهي تأتي ضمن برنامج كوكب الشرق الذي اتبعته بعد هزيمة يونيه وذلك باللجوء إلى الأغنيات والقصائد الدينية إلى جانب القصائد الوطنية. وذلك للتخفيف من وقع صدمة الهزيمة!

وقصيدة الثلاثية المقدسة قال فيها الشاعر صالح جودت:

رحاب الهدى يا منار الضياء	سمعتك في ساحة من صفاء
تقول، أنا البيت ظل الإله	وركن الخليل أسي الأنبياء
أنا البيت قبلتكم للصلاة	أنا البيت كعبتكم للرجاء
فضموا الصفوف وولوا الوجوه	إلى مشرق النور عند الدعاء
وسيروا إلى هدف واحد	وقلموا إلى دعوة للبناء
يزكى بها الله إيمانكم	ويرفع هامة تكم للسماء

\*\*\*

كورس، طلع البدر علينا	من ثننيات الوداع
وجب الشكر علينا	مادعاً لله داع
أيها المبعوث فينا	جننت بالأمر المطاع

\*\*\*

يا عطاء الروح من عند النبي	وعبيراً من ثنابا يثرب
يا حديث الحرمر الطهر الذي	يطلع النوربه في اللهب

فرويشر بالمساواة التى  
والإخاء الحق والمحبة الذى  
والجهاد المؤمن الحر الذى

\*\*\*

ألفت بين قلوب العرب  
وحد الخطو لسير الموكب  
وصل الفتح به للمغرب

إمة علمها حب السماء  
فمضت ترفل فى وحدتها  
بيد تسع فى أرزاقها  
سادت الأيام لما أمنت  
فإذا استشهد منهن بطل

كيف يبنى ثمر تعلو بالبناء  
وتباهى فى طريق الكبرياء  
ويد تدفع كبد الأشتياء  
إن بالإيمان يسمو الأقوياء  
كانت الجنة وعد الشهداء

\*\*\*

من مهبط الإسراء فى المسجد  
أسمع فى ركن الأسى مريماً  
وأشهد الأعداء قد أحرقوا  
وأبصر الأحجار محزونة  
لا والضحى والليل إذا سجا  
لن يطلع الفجر على ظالم  
سنرجع الأرض إلى أهلها  
والمسجد الأقصى إلى ربه  
سنشرق الشمس على أمة

من حرم القدس الطهور الندى  
تتهف بالنجدة للسيد  
رگنا مشيت فيه خطى أحمد  
تقول، واقدسأه يا معتندى  
وكل سياربه نهتندى  
مستنغرق فى حقله الأسود  
محنونة بالحمد والسؤدد  
مزدهباً بالركع السجد  
لغير وجه الله لم تسجد

\*\*\*

وتقول لنا المؤشرات الأولى عن الفروق التى وضحت حين رجعنا إلى الديوان المنشور  
به قصيدة «الثلاثية المقدسة» أن عدد التعديلات اللغوية أو الكلمات التى غيرتها أم كلثوم  
قد بلغت ثلاثة عشرة كلمة.. هى بالتفصيل وفق موقعها من الأبيات كالتالى:

فى البيت الأول غيرت أم كلثوم كلمة «رأيتك» واستبدلها بكلمة «سمعتك».. وفى  
البيت الخامس فى الشطر الأول غيرت كلمة «وقوموا» فاختارت كلمة «وسيروا».. وفى  
الشطر الثانى اختارت كلمة «وقدموا» بدلا من كلمة «وسيروا»..

وكذلك أضافت أم كلثوم كلمات «الكورس» كله.. إذ لم نعتز عليها في ديوان صالح جودت، وفي المقطع الثاني بعد الكورس غيرت أم كلثوم في البيت الثاني من هذا المقطع كلمة «يا حديث الحرم» بدلا من «يا ضياء الحرم».. وكذلك كلمة «يطلع النور» بدلا من «يشرق النور»!

ومن المقطع الثالث غيرت أم كلثوم كلمة في الشطر الأول من البيت الثاني من هذا المقطع.. فاختارت كلمة «وحدثها» بدلا من: «عزتها».. وفي البيت الرابع غيرت كلمة «بالايمان» بدلا من كلمة «بالقوة».

أما في البيت الأخير من المقطع ذاته فغيرت كلمة «الشهداء» بدلا من «السعداء» في الشطر الثاني من نفس البيت.

ومن المقطع الرابع تم تغيير كلمة «مهبط» بدلا من «ساحة».. وفي بالمقطع الخامس والأخير من هذه القصيدة غيرت أم كلثوم أربعة كلمات هي كلمة «الصبح» في البيت الثاني فاختارت بدلا منها.. كلمة «الفجر».. وبدلاً من كلمة «القدس» في البيت الثالث اختارت كلمة «الأرض».. وبدلاً من كلمة «يزخر» اختارت كلمة «مزهياً».. وذلك في البيت الرابع من المقطع ذاته!

\* \* \*

وكان علينا بخلاف ما سبق قوله.. ضرورة الوقوف على بعض اللقطات المضيئة في حياة شاعرنا صالح جودت حتى تكتمل الفائدة المرجوة.. فهو من مواليد ٧ من شهر ديسمبر ١٩١٢.. بمدينة الزقازيق.. وكان والده المهندس الزراعي كمال الدين جودت يمارس عمله في تلك الفترة بحكم ظروف اختصاصه ووظيفته في الحكومة المصرية.

ويقول الدكتور فوزى عطوى في كتابه عن «صالح جودت الإنسان والشاعر».. أن والدته المنتمة إلى أب تركي وأم مغربية رغبت في أن تدعوه «عبدالرحمن» تيمناً باسم أبيها، فسمى الولد بهذا الاسم.. ولم تجد الأم ممانعة من أحد، لا سيما وأن زوجها كمال الدين كان لحظة ميلاد ولده يعاني سكرات الموت في مستشفى الزقازيق.

وما هي إلا سبعة أيام على ولادة الطفل صالح حتى تجاوز أبوه مرحلة الخطر في المستشفى بعد أن بذل الأطباء في علاجه جهداً كبيراً.. ويغادر الأب مستشفى إلى المنزل،

حتى إذا تناهى إليه أن الطفل الصغير يدعى «عبدالرحمن» حتى ثارت ثائرتة، وقد أصر على أن يدعى ولده «صالح» وذلك تيمناً باسم انسان عزيز عليه، وهو شقيقه المستشار صالح بك جودت.

وفى تعليق لطيف للدكتور فوزى قال: ويبدو أن صالح جودت الذى سيصبح فى مقبلات الأيام اسماً يملأ الدنيا ويشغل الناس، قد ورث طبع العراك وإثارة العواصف من أبيه كمال الدين...<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ولقد سجل لنا الشاعر الراحل صالح جودت.. وكذلك للتاريخ بعض أسطر عن حياته فى إحدى استمارات الاستبيان التى يُعدها مركز المعلومات بأخبار اليوم - ومما كتب فى هذه الاستمارة: أنه حصل على ماجستير فى العلوم السياسية من جامعة القاهرة بتقدير جيد جداً فى عام ١٩٤٩، كما حصل على درجة الزمالة فى دراسات الأمم المتحدة فى نيويورك.

بدأ حياته العملية فى بنك مصر مديراً للدعاية. ثم محرراً فنياً ودبلوماسياً لجريدة الأهرام. ثم رئيساً لتحرير مجلة الاذاعة المصرية. وأخيراً استقر فى دار الهلال فى عام ١٩٤٥ وعمل مديراً لتحرير مجلة المصور ثم رئيساً لتحرير مجلة الاثنين، ثم نائباً لرئيس مجلس إدارة دار الهلال. وله عدة دواوين من أهمها ديوانه الأول: ليالى الهرم فى عام ١٩٣٢ والذى أصدرته جماعة أبو اللو..

---

(١) صالح جودت - الشاعر والإنسان.. د. فوزى عطوى.

### ست قصائد في عام واحد!

لا أعرف.. لماذا فضلت أن أبدأ الحديث هذه المرة عن شاعرنا الراحل طاهر أبو فاشا مما كتبه الأديب الكبير ثروت أباظة.. وربما يكون السبب في ذلك راجعاً إلى إحساسي بأنه أصدق من كتب عن هذا الشاعر الذي شدت سيدة القصيدة العربية وخلال عام واحد فقط بست قصائد له.. وهي تُعد من أروع ما كتب طاهر أبو فاشا وشدت به أم كلثوم.. وبخاصة في مجال القصيدة الدينية!.

ومما ذكره الأديب ثروت أباظة عن شاعرنا طاهر أبو فاشا قوله: «عرفته منذ قرابة خمسين عاماً وكنت طفلاً وكان يزور والدي ويقراً له الشعر وكنت أرى البشر والاعجاب على وجه أبي.. ولم اكن في تلك السن أدرك الشعر الذي يلقيه الاستاذ طاهر على والدي فقد كنت طفلاً لم أصل إلى العاشرة من عمري حتى إذا علت بي السن قليلاً وبدأت أتذوق الشعر.. كنت أرى الأستاذ طاهر في بيتنا وبدأت أسمع منه فكنت أحس في الاستماع إليه نشوة و إعجاباً و متعة تزداد كلما ازداد وعي و حبي للشعر»<sup>(١)</sup>.

أما عن علاقة أم كلثوم بشاعرنا الراحل.. فيقول سجل إغنياتها.. أن سيدة القصيدة العربية قد تغنت بكلمات ست قصائد لطاهر أبو فاشا.. في فترة بلغت عام واحد فقط.. وهو عام ١٩٥٥!.. ثم عاودت التعاون مع كلمات قصائده.. مرة أخرى في عام ١٩٥٩.. عندما اختارت له قصيدة وطنية تغنت بها تحية لجيش مصر الذي قاد ثورة يوليو عام ١٩٥٢!.

ويبدو أن خدمة طاهر أبو فاشا بالقوات المسلحة في هذه الفترة.. قد فرضت على أم كلثوم هذا الاختيار!.

وطاهر أبو فاشا قد سجل لنا وللتاريخ بداية علاقته بأم كلثوم حين أشار في أكثر من لقاء صحفى أجرى معه.. أن هذه العلاقة بدأت فعلاً من خلال قصائد «أوبريت رابعة العدوية».. والتي لحنها لها كل من رياض السنباطي ومحمد الموجي في عام ١٩٥٥.

(١) طاهر أبو فاشا - ثروت أباظة - ديوان طاهر أبو فاشا.. الأعمال الكاملة.

وعلى إثر نجاح قصائد هذا الأوبريت والتي سوف نستعرضها بعد لحظات .. حاول طاهر أبو فاشا إعادة التجربة مع أم كلثوم من خلال كلمات قصائده فى أوبريت جديد كتبه خصيصا لها تحت عنوان «سميراميس» ويتدخل شخصى على حد قوله من الرئيس جمال عبدالناصر .

وقد دفعت أم كلثوم بقصائد هذا الشاعر الجديدة فعلاً للملحن رياض السنباطى . إلا أن الظروف تدخلت وأوقفت هذا العمل من أصله ، وبالتالي أصبح رصيد طاهر أبو فاشا الشعرى لدى أم كلثوم قاصراً على هذه القصائد الست التى تغنت بها من خلال أوبريت «رابعة العدوية» .. وقصيدته الوطنية «مشى المجد» .

وهناك ملحوظة لا بد من الإشارة إليها فى هذا السياق .. وهى أن أم كلثوم فيما يبدو قد غنت هذه القصائد الست فى توقيت واحد ، كما سجلتها أيضاً فى التوقيت ذاته .. وهذا يتضح بسهولة من خلال متابعة متأنية لتاريخ تسجيل القصائد الست المنوه عنها ، وبالتالي فقد أصبح من الصعوبة بمكان .. أن نضع أيدينا على القصيدة الأولى التى غنتها أم كلثوم لطاهر أبو فاشا .. ولم يكن أمامنا من سبيل لتحديد هذه البداية سوى الرجوع لسجل أغنيات أم كلثوم التى وضعتها اللجنية الموسيقية العليا فى عام ١٩٧٥ .. وفيه إشارة إلى أن أولى هذه القصائد .. كانت قصيدة «عرفت الهوى» .. وفق ترتيبها فى صفحات هذا السجل .

ومما لاحظناه كذلك فيما يخص ما تغنت به أم كلثوم بالنسبة لطاهر أبو فاشا .. إن معظم هذه القصائد .. كانت قصيرة إذا ما قيست بقصائد غيره من الشعراء سواء المصريين أو من غيرهم .. وسوف يتضح ذلك بجلاء حالاً عندما نستعرض كلمات هذه القصائد ..

\*\*\*

فى قصيدة: «عرفت الهوى» .. شدت أم كلثوم بهذه الكلمات:

وأغلقت قلبى عن عداكا  
القلوب ولسنانراكا  
وحباً لأنك أهل لذاكا  
فشغلى بذكرك عن سواكا

عرفت الهوى مذ عرفت هواكا  
وقمت أناجيك يا من ترى  
أحبك حبين .. حب الهوى  
فأما الذى هو حب الهوى

فكشفتك لى المحجب حتى أراكا  
ولكن لك الحمد فى ذا وذاك  
وحباً لأنك أهل لذاكا  
وشوقاً لقرب الخطى من حماكا  
فمسرى الدموع لطول نواكا  
فنار حياة جنت فى ضباكا  
رضيت بما شئت لى فى هداكا

وأما الذى أنت أهل له  
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى  
أحبك حبين.. حب الهوى  
وأشتاق شوقين.. شوق النوى  
فأما الذى هو شوق النوى  
أما اشتياقى لقرب الحمى  
ولست على الشجر أشكو الهوى

\*\*\*

وفى ديوان طاهر أبو فاشا.. نشرت هذه القصيدة مع ملاحظة وجود بعض التعديلات.. كان من أهمها اسم القصيدة وهى بعنوان: «أحبك حبين...» فى حين غنتها أم كلثوم تحت اسم «عرفت الهوى».

كما أشار الشاعر فى هامش هذه القصيدة إلى أن الأبيات من الثالث حتى السادس ليست من تأليفه.. وإنما هى أبيات نقلها من أشعار رابعة العدوية..

ولأول مرة نلاحظ أن أم كلثوم تزيد عدد أبيات إحدى القصائد عما نشره الشاعر فى ديوانه، وكانت من قبل تنقص من عدد هذه الأبيات! إذ كررت أم كلثوم حين شدت، بهذه القصيدة البيت الذى تقول فيه.

أحبك حبين.. حب الهوى                      وحباً لأنك أهل لذاكا

وقد لاحظنا أن الشاعر لم يكرره فيما نشره بديوانه.. ولذلك جاء عدد أبيات ما غنته أم كلثوم أحد عشر بيتاً. مع أن عددها فى الديوان عشرة فقط!.

\*\*\*

ثم شدت أم كلثوم بالقصيدة الثانية للشاعر طاهر أبو فاشا.. وهى التى قالت فيها:

على روحى جنت روحى  
وبينك سر تيرى حى  
فياغوشاه.. ياغوشاه  
وآآ.....آآ

على عينى بكت عينى  
هواك وبعده ما بينى  
على عينى على روحى  
ومن طول النوى أوألا

وقد نامر الخليوننا	صحا من شجوة كاس
إذا هام المحبونا	فكيف أفر من نفسى
فيا ويلا... يلا ويلا	على نفسى جنت نفسى
وآه..... وآه	ومن طول النوى آواه
وداعى الشوق يدعونى	حيانى منك.. يبعدنى
ويقتلنى ويحيينى	وروجه الصبح يخجلنى
على ما كان يا أسفا	وأيامى تقاضينى
وآه..... وآه	ومن طول النوى آواه
وقلت عساك تقبلنى	خلوت إليك يا رى
وأيامى تطاردنى	فما بالى أرى ذنبى
إليك ومنك يا رباه	مددت يدى فخذ بيدى
وآه..... وآه	ومن طول النوى آواه

\*\*\*

وأيضا التزمت سيدة القصيدة العربية.. بعدد أبيات هذه القصيدة كما كتبها طاهر أبو فاشا - ونشرها فى ديوانه - وقد غيرت أم كلثوم فقط فى عنوان القصيدة.. إذ اختارت الكلمة الأولى من البيت الأول كعادتها دائما.. مع أن اسم القصيدة فى الديوان: هو «فى بحار الندم».. وكذلك غيرت أم كلثوم فى لفظ واحد فقط هو كلمة «يدعونى» بدلاً من كلمة «يدنينى».. فى البيت الذى تقول فى مطلعها:

حيانى منك يبعدنى

مع ملاحظة بعض الأخطاء الإملائية والطبعية فيما يخص ما نشر فى كتاب أغنيات أم كلثوم والذى نقلنا عنه هذه الأغنيات.

\*\*\*

ومن أوبريت رابعة العدوية الذى أذيع فى عام ١٩٥٥.. غنت أم كلثوم القصيدة الثالثة لطاهر أبو فاشا.. «يا صحبة الراح».. وهى من ألحان رياض السنباطى أيضا.. وفيها تقول:

يا صحبة الراح

أهل الراح هل حانوا

وهل تغنت على أيامها ألحان

صبا الندامى وما فى الحان ألحان

فى كأس عمرى بقايا من يشارينى  
 ومن بطارحنى والعيش ربحان  
 شمالة من دموع الشجر ألوان  
 إيرينها راح يبكى وهو فرحان  
 شمالة أه لوفاضت وآه إذا  
 غاضت.. ووأها لها والقلب لهنان  
 عهدى بها وكنوس الصفر مترعة  
 بهن طاف على السكرى سكيران  
 لا يشرب الراح إلا أنه شمل  
 نشوان والكأس فى كفيه نشوان  
 ترى تعود الليالى والهوى معنا  
 يا غربة الكاس ما للكاس ندمان  
 ولم تطلب أم كلثوم كعادتها من الشاعر تغيير أية كلمة من كلمات هذه القصيدة!..  
 وهذا الأمر يترك فى داخلنا علامة استفهام!؟.. لذلك فإن قصيدة يا صعبة الراح .. تعد  
 فعلاً من القصائد القليلة التى لم تغير فيها سيدة القصيدة العربية أية كلمة!

\*\*\*

ومن نفس الأوبريت وفى العام نفسه غنت أم كلثوم القصيدة الرابعة لظاهر أبو فاشا..  
 وفيها تقول:

وغبيرك لا يفيض ندى فكيف ترد من قصدا فكيف تزود من وردا إن عادى الزمان عدا ونحوك قد مدت يدا ولا أدرى لأنى مــــدى ويرعانى الجوى أبدا وليللى والظلام ردى وإن أمسى فواكبدا فقدت الأهل والسندا	لغبيرك ما مدت يدا وليس يضيق بابك بى وركنك لم يزل صمدا ولطفك يا خفى اللطف على قلبى وضعت يدا سرى ليللى بغير هدى بطاردنى الأسى أبدا نهارى والهجير لظى فواكبدا إذا أضحى وليس سواك لى سندا
--	--

ومن قبل أن أرجع لديوان طاهر أبو فاشا للوقوف على رأى أم كلثوم من هذه القصيدة التي نشرها تحت عنوان: «لغيرك ما مددت يدا» .

ظننت أن سيدة القصيدة العربية لم تجر أية تغيرات عل هذه القصيدة .. مثل القصيدة السابقة .. ولكننى حين رجعت إلى الديوان الذى نشر به طاهر أبو فاشا قصائد أوبريت رابعة العدوية، وخاصة قصيدته المنوه عنها أنفا اكتشفت أن أم كلثوم مارست أسلوبها نفسه السابق فى إجراء العديد من التعديلات والتي كان من أهمها إهمال بيتين من قلب هذه القصيدة وهما اللذان قال فيهما الشاعر:

وينشرفى الهوى روحاً      ويطوينى الهوى جسداً  
وأطوى البید طاوية      كأنى فى الفضاء صدى

ولا نعرف السبب الذى دفع بأم كلثوم لإجراء هذا التعديل الكبير فى هذه القصيدة مع أن هذين البيتين يكملان المعنى الذى قصده الشاعر، حين أخذ يتحدث فى صفاء نفس عن وسائله فى التقرب إلى الله رب العالمين .

وعلى فكرة فإن هذه القصيدة وضع ألحانها الموسيقار كمال الطويل .. وبذلك أصبح مشاركا أصيلاً فى وضع ألحان أم كلثوم سواء الدينية أو الوطنية .. إذ لم يسعده حظه فى تلحين أغنية عاطفية لأم كلثوم!

\*\*\*

وفى خطوة ذكية من سيدة القصيدة العربية فيما يخص شاعرنا طاهر أبو فاشا . فقد أشركت أكثر من ملحن .. لوضع الموسيقى لكلمات هذا الشاعر الكبير .. وهذه المرة اختارت الموسيقار محمد الموجى لوضع ألحان قصيدتين من قصائد أوبريت رابعة العدوية .. الأولى قصيدة «أوقدوا الشموس» والتي قالت فيها أم كلثوم:

كورس: أوقدوا الشموس      انقروا الدفوف  
مركب العروس      فى السما يطفوف  
والمنى قطفوف      انقروا الدفوف

رابعة: [صوت أم كلثوم]

الرضاء والنور      والصبايا الحور

والهوى يدور

أن للغريب                      أن يرى حماءه  
يومه الغريب                      شاطئ الحياة  
والمنى قطوف                      فى السماء تطوف

انقروا الدفوف

طاق بالسلام                      طائف السلام

بوقظ النيام                      عهد الوثيق  
واحة النجاة                      أول الطريق  
هو مننها                      والمنى قطوف  
فى السماء تطوف

انقروا الدفوف

وفى ديوان طاهر أبو فاشا نشرت هذه القصيدة تحت عنوان: «عروس السماء».. ودون التقسيم الذى ارتضاه الملحن.. سواء على لسان الكورس أو رابعة العدوية.. وكذلك لاحظنا أن سجل أغنيات أم كلثوم الذى نشر به هذه القصيدة المغناة قد أهمل أحد مقاطع هذه القصيدة.. وإن كنت على يقين من أن أم كلثوم قد شددت وبهذا المقطع ضمن مقاطع هذه القصيدة..

وعلى أية حال فقد أثرت نشر المقطع المنوه عنه وبذلك يكتمل نشر القصيدة التى ألفها طاهر أبو فاشا ونشرها فى ديوانه المنوه عنه.  
وكلمات هذا المقطع تقول:

يا حبيب الروح                      تائه مجروح

كله جروح

لأنذ بالباب                      شوقه دعاء  
والرضارحاب                      يشمل الصفاة  
والمنى قطوف                      فى السماء تطوف

انقروا الدفوف

وأما القصيدة الثانية والتى لحنها محمد الموجى من أوبريت «رابعة العدوية» فهى. التى قالت فيها أم كلثوم تحت عنوان «حانة الأقدار».  
سألت عن الحب أهل الهوى                      سقاء الدموع ندامى الجوى

ومن جدلاً بك أولهوى  
سل الطير إن شئت عن شلوه  
وبرح الحنين وشرح الجوى  
لقبت الهوى وعرفت الهوى  
وتلك النجميات سماراً  
وتحت خيام الدجى ناراً  
ولكن لمن ذاق طعر الهوى

فقالوا حنانك من شجوه  
ومن كدر الليل أو صفوه  
فنى شلوه همسات الهوى  
ولما طوانى الدجى والجوى  
فنى حانة الليل خمارة  
وهمس النسائم أسراراً  
وفى كل شيء يلوح الهوى

والغريب أننا حين رجعنا إلى الديوان المنشور فيه هذه القصيدة وجدنا تغييراً كبيراً أدخلته أم كلثوم على هذه القصيدة.. ومن أهم هذه التغييرات أن كوكب الشرق أهملت أربعة أبيات كتبها طاهر أبو فاشا فى بداية هذه القصيدة والتي يقول فيها:

حانة الأقدار عرقلت فيها ليلاتها  
ودار النور والهوى صاحى  
هذه الأزهار كيف نستقيها وساقها  
بها مخمور كيف يا صاح!

ليس هذا فقط... بل إن أم كلثوم قد أهملت المقطع قبل الأخير من ذات القصيدة والتي يقول فيها طاهر أبو فاشا:

ورحت إلى الطير أشكو الهوى  
فقال حنانك من جمرة  
ومن نهيه فيك أو أمره  
فنى الليل يبعث أهل الهوى  
وأسأله سر ذاك الجوى  
ومن صحو ساقبه أو سكره  
سلى الليل إن شئت عن سره  
وفى الليل يكمن سر الجوى

\*\*\*

ويبدو أن وجود الشاعر طاهر أبو فاشا فى الجيش فى فترة عام ١٩٥٩ كان دافعاً جديداً لتعامل أم كلثوم مع كلمات جديدة من أشعاره.. إذ اختارت سيدة القصيدة العربية قصيدة سادسة من قصائده ولكنها هذه المرة كانت قصيدة وطنية وكان عنوانها أيضاً: «الجيش»!. حيث قالت أم كلثوم من خلال كلماتها:

مشى المجد فى يومه المرتقب  
فقرحى جيشك جيش العرب  
وأشرق فى عبده ما غرب  
حمى الزمام وجيش السلام  
سلام سلام سلام سلام

بنينا من مجدنا الغابر      وصفناه من دمننا الثائر  
أعز من الروح والناظر  
طلبة ثورتنا الظاهرة      وقوة قوتها الفاهرة  
فيحمى السلام ويرعى الزمير      سلام على الجيش فى يومه  
وفى كل يوم عليه السلام  
نعطر واديك أمجاده      ونحظر باليمن أعياده  
ونحمى العروبة أجناده  
إذا جرد السيف من جردا      أداروا عليه كنوس الردى  
وردوه بعثر فى ظلمه      وقد لبث الصبح وجه الظلام  
سلام على الجيش فى يومه  
وفى كل يوم عليه السلام  
سلام سلام سلام سلام

سلوا عين جالوت عن أمسه      سلوا أرض سيناء عن بأسه  
إذا صرح الهول عن نفسه      وكبر للموت من كبرا  
ونادى إلى الله أسد الشرى      كذلك جيشك فى عزمه  
دماء حلال وأرض حرام      سلام على الجيش فى يومه  
وفى كل يوم عليه السلام  
سلام سلام سلام سلام

ومما لاحظناه من تغييرات أجرتها أم كلثوم بالاشتراك مع الملحن رياض السنباطى على  
هذه القصيدة.. تكرارها لكلمة «سلام سلام سلام سلام».. بعد كل مقطع بدلا من  
البيت الذى استخدمه الشاعر لنفس الغرض الذى يقول فيه:

مشى المجد فى يومه المرتقب!

\*\*\*

ووفقا لمنهجنا السابق الذى يقوم فى الأساس على تناول الشعر والشاعر.. فقد بقى لنا  
من هذا الحديث.. حديث آخر عن طاهر أبو فاشا.. لما له من أهمية فى استكمالنا لدائرة  
المعرفة فوق هذه الأوراق.

لقد حفل كتابه «الأعمال الكاملة» الذى صدر من بعد رحيله بالشىء الكثير عن حياة شاعرنا المتميز. ومما جاء فى مقدمة هذا الكتاب: أنه ولد فى مدينة دمياط فى عام ١٩٠٨ وتخرج فى كلية دارالعلوم عام ١٩٤٠ ثم توفى فى ١٢ مايو على ١٩٨٩.

وترك لنا طاهر أبو فاشا ستة دواوين من الشعر هى: صورة الشباب - الأشواك - الفتية السارية - راهب الليل - الليالى - دموع لا تجف، كما أصدر الشاعر دواوينه الثلاثة الأولى فى أعوام ١٩٢٨ و ١٩٣٢ و ١٩٣٨ وفيها تشعر كما يقول خليل جبران عنه فى مقدمة ديوانه «الأشواك»: أنه شاعر بلاريب مجدد من طراز الذين لا يعوزهم قوة الديباجة وجمال العبارة».

وبعد صدور هذه الدواوين الثلاثة جذبته الإذاعة فوقف نفسه عليها واستنفذ نشاطه وطاقته الإبداعية فى التأليف لها، وبالتالى انصرف عن قول الشعر إلا بين الحين والحين.. حينما كانت تفرض عليه التجربة الشعرية نفسها.

وقد استمر طاهر أبو فاشا يقدم للإذاعة إنتاجه الأدبى الذى تمثل فى البرامج التمثيلية والغنائية وكان على رأسها «ألف ليلة وليلة» - وألف يوم ويوم<sup>(١)</sup>.

---

(١) عبدالعليم عيسى - ديوان طاهر أبو فاشا الأعمال الكاملة - عام ١٩٩٢.

## وقصيدة واحدة فقط!

هذا الرأى الذى سوف ندلى به حالاً. نقوله على مسئوليتى الخاصة. وعلى المتضررين اللجوء إلى شياطين الشعر!. فقد حرصت أم كلثوم على أن تتعامل مع كلمات الشاعر الراحل كامل الشناوى.. خاصة الوطنية منها.. تحت ضغطين.. الأول كان مصدره أخيه الصغير مأمون الشناوى الذى أبدع لأم كلثوم مجموعة من الأغنيات العاطفية صاحبة الصيت العالى.. والمصدر الثانى: هو مصطفى أمين.. صديق كامل الشناوى وأحد الذين عاشوا تجربته مع الشعر والصحافة والحب والرحيل، وكانت أم كلثوم لا تؤخر كلمة واحدة أو طلب لمصطفى أمين.. أحد أصدقائها المقربون!.

ففى عام ١٩٦٤ غنت سيدة القصيدة العربية رائعة كامل الشناوى «على باب مصر».. والتي تعد من القصائد الوطنية الجميلة.. التى تحمل فى كلماتها معان عظيمة وسامية.. تستحق التأمل والدراسة..

وتقول كلمات هذه القصيدة:

على باب مصر تدق الأكف ويعلو الضجيج

رياح ثور جبال تلور بحار نهيج

وكل نساؤل فى دهشة وكل نساؤل فى هلفة

أبن.. ومن.. وكيف.. إذن

أمعجزة ما لها من أنبياء

أدورة أرض بغير فضاء

وقضى الكواكب بالنادمين من كل لون وكل مجال

فمن عصر مبنا إلى عصر عمرو ومن عصر عمرو لعصر جمال

ومن ذا الذى ياترى حقيقه

وكيف نحقق ما كان وهما

سجين الزمان من أطلقه

وكيف نحرر من أسره

بأيد مسخرة موثقة

لقد شاد بالأمس أهرامه

وما هو يبني بحرية  
بسد منيع عجيب البناء  
فأزران أبناؤه حرة  
وليس لهم سيد أو مسود  
أمعجزة مالها من أنبياء  
وصاح من الشعب صوت طليق

دعائم أماله المشرقة  
يبث الرخاء ويوحى الثقة  
وحرية أرائه المطلقة  
فكل سواد بلا تنفرقة  
أدورة أرض بغير فضاء  
نوى أبى عميق عريق

يقول، أنا الشعب والمعجزة

أنا الشعب لا شيء قد أعجزه  
فمن أرضى الحررة الصامدة  
بقوميتى واشترأ كيتى  
أنا الشعب لا أعرف المتسحلا  
بلاى مفتوحة كالسما  
أنا الشعب.. شعب العلا والنضال  
ومنى الحقيقة ومنى الخيال

وكل الذى قاله أنجزه  
صنعت حضاراتنا الخالدة  
بنبض العروبة فى إمتى  
ولا أرتضى بالخلود بدبلا  
تضر الصديق وتمحو الدخلا  
أحب السلام أخوض القتال  
وعندى الجمال وعندى جمال

\*\*\*

وواضح من خلال قراءة متأنية لهذه القصيدة أن كامل الشناوى قد كتبها فى ظروف سياسية معينة، وقد ارتبطت هى الأخرى إلى حد بعيد باخط الاشتراكي الذى كان قد اتخذه جمال عبد الناصر منذ أوائل الستينيات!

والغريب فيما لاحظناه أن كامل الشناوى قد طعم هذه القصيدة بكلمات صريحة عن جمال عبدالناصر! وعن جهوده عربيا ومحليا!، وكذلك كانت أم كلثوم قد تغنت بهذه القصيدة قبل رحيل شاعرنا بأقل من عام واحد!!

وبالرجوع إلى الديوان الوحيد الذى نشره كامل الشناوى كل قصائده العاطفية وغير العاطفية والذى صدر تحت عنوان «لا تكذبي» عثرنا على هذه القصيدة بعنوان «أنا الشعب».. وليس بالعنوان الذى اختارته أم كلثوم وهو «على باب مصر».

وكذلك لاحظنا وجود تغييرات جوهرية كثيرة أدخلتها أم كلثوم والموسيقار محمد عبدالوهاب على هذه القصيدة.. سواء من حيث الحذف أو التعديل والتبديل ويتضح ذلك مما يأتى:

فقد بدلت أم كلثوم مكان كلمتى «جبال تدور» حيث وضعتهما فى مكان كلمتى «رياح تتور»! إذا اختار الشاعر الكلمتين الأولىين حيث افتح بهما شطريته الأولى.. بينما عكستهما أم كلثوم حين غنت القصيدة!.

بل واستغنت أم كلثوم عن بعض الأبيات التى قال فيها كامل الشناوى بعد البيتين الأولى والثانى:

وتصغى وتصغى!!!

فتسمع بين الضجيج سؤالاً وأنى سؤال

وتسمع هممة كالجواب وتسرع هممة كالسؤال

وكذلك غيرت فى البيت الذى قالت فيه:

وكل تساؤل فى دهشة وكل تساؤل فى لهفة

أين ومن وكيف إذن!

كما حذف أم كلثوم أبياتاً أخرى من هذه القصيدة. وهى التى قال فيها الشاعر:

بأنصى مـدا

نعمر.. كيف أصبح هذا الجلال

غزاة الطفلة وأنى طفلة

حقيقة شعب

\*\*\*

هذا عن المقطع الأولى مما غنته أم كلثوم.. سواء بعد الحذف أو قبله.. وأما بالنسبة للمقطع الثانى.. فقد استغنت فيه أم كلثوم كذلك عن أبيات بعينها.. كتبها كامل الشناوى وهى التى يقول فيها:

فأبدوا خشوعاً وأحنوا الجبابة

وجاء الغزاة جميع الغزاة

يرف عليها حنان الإله

وتلمع بين الجموع وجوها

وفيهما التفاتة وفيها الهداة

ففيها المفكر والعبقري

وذلك عيسى عليه السلام

فموسى تشق عصاه الزحامر

أمعجزة ما لما أنبياء

وهذا محمد خير الأنام

أحوررة أرض بغير فضاء

ثم عادت أم كلثوم لتصل ما انقطع من كلمات كامل الشناوى فيما شدت به.. عندما

بدأت هذا المقطع بقولها:

وكيف تحقق ما كان وهماً      ومن ذا الذى ياترى حقيقته؟!  
مع أنها أغلقت من وسط هذه الأبيات وفق التسلسل الذى اختاره الشاعر بيت قال  
فيه كامل الشناوى:

على ظهره بصمات السياط      وأحشاؤنا بالطوى مرهنة  
كما استبدلت كلمة «بيت» .. فى البيت الذى تقول فيه:  
فمن أرضى الحرّة الصامدة      صنعت حضاراتنا الخالدة  
واختارت بدلا منها كلمة «صنعت»!. كما هو مبين فى البيت السابق.  
وحتى فى هذا المقطع استغنت أم كلثوم عن بيتين هما اللذين قال فيهما كامل  
الشناوى:

أنا الشعب، شعب الذرى والقمر  
زرعت النخيل، صنعت الهرم  
رفعت المآذن فوق القباب

بنيت المداخن تعلو السحاب  
والملاحظة المهمة والواجب الإشارة إليها.. هنا أن أم كلثوم وموسيقارنا الكبير محمد  
عبد الوهاب قد نجحا نجاحاً باهراً فيما أدخلوه من اختصارات فى أبيات هذه القصيدة.. إذ  
اختلفوا أهم ما فيها.. سواء من حيث المعنى أو الأداء!. ولقد ثبت لنا هذه الملاحظة  
كحقيقة.. عندما أعدنا قراءة القصيدة وفق ما تغنت به أم كلثوم.. فلم نشعر بأية تغيرات..  
وقد أخلت بالقصيدة أو بنائها، وتلك هى العبقرية سواء فى الأداء أو فى التلحين.

\*\*\*

وكامل الشناوى صاحب هذه القصيدة.. هو بالفعل حدوة مصرية بانته ملامحها  
واضحة فى عدة مجالات سواء أدبية أو صحفية أو فكرية وكانت نشأته الدينية الأولى  
لاشك وراء كل ذلك.. إذ أراد والده بعدما ألحقه بالأزهر أن يسير على دربه حتى يصبح  
مثله قاضياً شرعياً، ولكن خاب ظن ذلك الوالد.. فقد تحول كامل الشناوى من الزى  
الأزهري إلى زى آخر تماماً، قذف به فى قلب شارع عماد الدين ومن بعده إلى شارع  
الصحافة.

وتلك لحات سريعة عن حياة هذا الشاعر العبقرى.. وقد حفلت بها كتب كثيرة. ومما

كتب فى هذا الشأن قول المؤرخ لمعى المطيعى فى سلسلة مقالاته الرائعة «هذا الرجل من مصر»... أنه يدعى مصطفى كامل الشناوى بن سيد سيد أحمد الشناوى. ولد فى يوم الاثنين ٧ ديسمبر عام ١٩٠٨ فى قرية «نوسة البحر» مركز «أجا» بالدقهلية.. وجاء مولده عقب رحيل الزعيم مصطفى كامل فأسماه والده مصطفى كامل. كما كان بديناً ولم تكن بدانته مصدر تعاسة له وإنما استطاع أن يجعلها مصدراً للمرح.

ولما كان والده قاضياً شرعياً لمحكمة مركز «أجا». أدخل ابنه كامل الأزهر، لكنه لم يستمر فيه سوى خمس سنوات، اتجه بعدها إلى دار الكتب يجعل منها جامعة له يطالع فيها مختلف فروع المعرفة.

ولما كان يجيد اللغة العربية عمل مصححاً فى عدة جرائد بدءاً من عام ١٩٣٠، ثم عمل محرراً بجريدة الأهرام فى عام ١٩٣٥.. وكان آنذاك يكتب فى صحف الاثنين والمصور وآخر ساعة التى رأس تحريرها فى عام ١٩٤٣..

وكذلك انتخب عضواً فى مجلس النواب عام ١٩٤٥.. وانتقل إلى أخبار اليوم فى عام ١٩٤٥ ومنهما إلى الجريدة المسائية فى عام ١٩٤٩.. ثم عاد إلى جريدة الأهرام رئيساً لقسم الأخبار فى عام ١٩٥٠. كما تولى رئاسة تحرير جريدتى الجمهورية والأخبار..

وتوفى فى يوم الثلاثاء ٣ نوفمبر فى عام ١٩٦٥. اشتهر بين زملائه بأنه كان آخر ظرفاء عصره لتميزه بالنكته الضاحكة والقفشات والمقالب الصحفية.

قصيدة للجامعة العربية

تعتبر قصيدة «زهر الربيع» لشاعرنا الكبير محمد الأسمر والتي شددت بها كوكب الشرق أم كلثوم.. من القصائد التاريخية.. أو بمعنى آخر من قصائد الشعر العربي التي ارتبطت بحدث هام من أحداث العرب التاريخية، إذ شددت بها أم كلثوم أمام أول تجمع عربي للزعماء.. سواء من الملوك أو من غيرهم من الذين حضروا توقيع ميثاق جامعة الدول العربية في عام ١٩٤٥.

ولقد أرادت سيدة القصيدة العربية بهذا الاختيار أن تبرهن لكل الأمة العربية على أنها أصبحت مثل جامعتهم العربية السياسية، جامعة أخرى فنية وكانت أم كلثوم بذلك أول فنانة في تاريخنا الحديث.. تشارك في صنع حدث سياسى مهم.. مثل إنشاء جامعة الدول العربية.

وكذلك أصبح شاعرنا محمد الأسمر من هؤلاء الشعراء الذين لعبت كلمات قصائدهم الدور الرائد في لم شمل الأمة العربية.. منذ أكثر من خمسين عاماً! ليس على مستوى المناسبات القومية فقط.. بل وفي التغنى بأمجاد هذه الأمة وبيان أصول حضارتها عبر التاريخ.

ولقد سبق الحديث من جانبنا سواء عبر هذه الأوراق أو غيرها من أوراق كتبنا السابقة عن هذا الدور الوطنى الكبير الذى لعبته أم كلثوم على المستويين الوطنى والعربى.. لذلك فهى ليست بحاجة إلى المزيد.. وكتابنا «تاريخ مصر يكتبه أهل الفن» فيه الشئ الكثير عن مواقف هذه الفنانة العظيمة ومواقف غيرها من فناني مصر والعرب.. خاصة من أحداث تاريخنا الوطنى والقومى.

\*\*\*

وأما عن كلمات قصيدة «زهر الربيع» لأم كلثوم.. فتقول التفاصيل المنقولة عن كتاب الأعمال الغنائية الكاملة لأم كلثوم.. أن ما شددت به سيدة القصيدة العربية هى الكلمات التالية:

وروضة أينعت أم حنفة عجباً!  
كالعند يلمع فيه الدر الذهب  
وأنه أمل للشرق مرتقب  
وليس فيه من الحجاج مغترب  
يكاد من نفحات الشوق يلتهب  
إن العروبة فيما بيننا نسب  
فصافحوها تصاح نفسها العرب.

زهري الربيع يرئى أم سادة مُجَب  
تجمع الشرق فيهما مؤتلف  
كفناه أن يد الله تنظمه  
بنى العروبة هذا القصر كعبتنا  
عجبت للنيل بطنى كل ذى لهب  
حياكمر وهو جذلان وقال لكر  
هذى يدى عن بنى مصر تصاحكمر

\* \* \*

وعلى الرغم من حساسية المناسبة القومية التي شدت من أجلها أم كلثوم هذه القصيدة إلا أنها والملحن الكبير زكريا أحمد.. لم يخشياً أى تغيير أو تعديل قد أدخله على القصيدة!.

ولسوف نتعجب حين نعرف أن هذا التغيير قد شمل كلمات تخص إلى حد بعيد الملك فاروق. الذى كان حاضراً هذا الحفل.. بل وكان يقام أيضاً داخل قصر عابدين مقرر حكمه.

فقد استبدلت أم كلثوم كلمة «الفاروق» فى البيت الثالث.. واختارت بدلاً منها كلمة «الله».. حيث كتب الشاعر محمد الأسمر الشطر الأول من هذا البيت هكذا:  
كفناه أن يد الفاروق تنظمه<sup>(١)</sup>.

ليس هذا فقط.. بل إن أم كلثوم حذفّت بيتاً بكامل كلماته من هذه القصيدة وفيه حديث صريح عن الملك فاروق أيضاً!.

إذ قال فيه الشاعر:

هو السماء وفاروق به قمر  
وأنترفى السماء السبعة الشهب

وهذا يعنى أن كوكب الشرق.. قد شدت فقط بسبعة أبيات من هذه القصيدة.. مع أن عدد أبياتها فى الديوان المنوه عنه ثمانية أبيات! ولم تكتف أم كلثوم بهذه التغييرات.. بل أضافت إليها.. تغييراً آخر فى عنوان القصيدة.. من «فرحة الشرق» إلى «زهر الربيع»! وتلك سمة دائمة لاحظناها فى كل ما تغنت به أم كلثوم من قصائد سواء من الشعر القديم أو الحديث!.

(١) ديوان محمد الأسمر - الصادر عام ١٩٥١.

ولقد ذكر لنا الشاعر المناسبة التى ألفت فيها هذه القصيدة عندما قال فى مقدمة صغيرة كتبها أعلى قصيدة «فرحة الشرق»: «حينما وقع مندوبو الأمم العربية الميثاق العربى وكان ذلك سنة ١٩٤٥ أقيمت لهذه المناسبة حفلة كبرى بسرأى عابدين، وقد شرف هذه الحفلة جلالة الملك فاروق.. والقصيدة الآتية المعروفة باسم «فرحة الشرق» نظمت لتحية ممثلى العروبة وقد غنتها فى هذه الحفلة الأنسة أم كلثوم ولحنها الأستاذ زكريا أحمد، والذى اقترح على الشاعر نظمها هو المغفور له صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى، وهو الذى اقترح أن يكون آخرها بيت حافظ بك إبراهيم المذكور فى آخر القطعة» (١).

\*\*\*

ومما لاحظناه كذلك.. أن هذا الديوان.. قد اشتمل على بيان طيب لسيرة حياة هذا الشاعر.. وقد جاء فيه: ولد الشاعر محمد الأسمر فى مدينة دمياط فى يوم الثلاثاء ٦ نوفمبر عام ١٩٠٠.. وقد كتب عن ميلاده صديقه قاسم مظهر يقول: «تحت سماء دمياط الساحرة وعلى أرضها الصافية الجمال، ولد الشاعر النابغ محمد الأسمر، وقد استمد من جمال بلده وخصرتها دماء الخلق ووداعة النفس وطيبة القلب».

التحق الشاعر فى طفولته بمكتب من المكاتب الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم بدمياط لكنه لم يلبث به إلا قليلا، ثم التحق وهو فى الثامنة من عمره تقريبا بإحدى المدارس الأهلية بالمدينة، وكان من العلوم التى يتلقاها فى هذه المدرسة القرآن الكريم حيث حفظ نصفه، وكذلك بعض المحفوظات الأدبية شعراً ونثراً والنحو والإملاء والحساب.

وكانت هذه المدرسة تعد من يتخرج منها ليكون كاتباً حسابياً بإحدى المحلات التجارية، وتخرج محمد الأسمر من هذه المدرسة فى عام ١٩١٤ وزاول التدريس بها شهوراً ثم قام بعمل كتابى فى إحدى المحلات التجارية برأس البر مدة المصيف - ثم عاود بعد ذلك ممارسة مهنة التدريس بالمدارس الأهلية إلى جانب مزاوله الكتابة الحسابية بالشركات التجارية.

بعد ذلك التحق بمعهد دمياط الدينى طالباً فى عام ١٩١٥.. بعدها التحق بمدرسة القضاء الشرعى بالقاهرة فى عام ١٩٢٠، وظل بها ثلاث سنوات ومن بعدها التحق

(١) المصدر السابق.

شاعرنا الأسمر بالأزهر الشريف الذى تخرج منه فى عام ١٩٣٠ ، وظل يعمل حتى عين أميناً للمحفوظات بالمعاهد الدينية ، كما وكلت إليه مشيخة الأزهر لتنظيمها .. ثم عين معاوناً بمكتبة الأزهر ثم أميناً لهذه المكتبة .

وقد انتدب وهو أمين مكتبة الأزهر للعمل بوزارة الداخلية فى قسم مراجعة الكتب ، كما اختير مرتين عضواً فى لجنة النصوص بالإذاعة ، وفى عام ١٩٥٦ اختير عضواً بلجنة الشعر الخاصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

وتقول سيرة حياة محمد الأسمر أن الصحف المصرية كانت تنشر له إبداعاته فى الشعر وهو لا يزال طالباً بالسنة الثانية بمعهد دمياط الدينى ثم تابعت ذلك إشراقاته فى الشعر فألف العديد من القصائد سواء الدينية أو الوطنية ، وقد خلف وراءه عدة أعمال كان من أهمها ديوانين .. الأول هو «تغريدات الصباح» وهو أول مجموعة شعرية وكتب مقدمة هذه المجموعة أنطون باشا الجميل رئيس تحرير جريدة الأهرام .. ثم «ديوان الأسمر» الذى صدر على ١٩٥٠ .. وكذلك له كتاب فى النشر بعنوان «مع المجتمع» .

## وحقق أنت المنى والطلب

فى السيرة الذاتية للشيخ الامام عبدالله الشبراوى شيخ الجامع الأزهر لاحتنا اهتمام المؤرخين بحياته كشاعر أكثر منه كشيخ للجامع الأزهر!! الأمر الذى يجعلك تشعر بأن هذا الشيخ الامام كان يولى اهتماماً كبيراً بالشعر والأدب، أكثر من اهتمامه بالعمل فى مشيخة الأزهر..

بل وأكثر من ذلك كان الشيخ الشبراوى يكتب أشعاراً عاطفية فى غاية الرقة، مما جعل الكثيرون من مطربى أهل زمانه يقبلون على التغنى بكلمات أشعاره! حتى شهدت السنوات الأولى للقرن العشرين تواجداً كبيراً للشيخ الشبراوى داخل مقاهى ومسارح الأزيكية.. وذلك من خلال ما كان يكتبه من أشعار يتغنى بها كبار المطربين آنذاك.

والدليل على ذلك أن سيدة القصيدة العربية أم كلثوم قد اختارت قصيدة من أروع ما كتب الشيخ الإمام وأروع ما غنت فى بداية مشوار حياتها الفنية بدءاً من عام ١٩٢٥! وهى قصيدة «وحقق أنت المنى والطلب»، التى اختارها أيضاً الشيخ أبو العلا محمد من قبل لكى يلحنها ويغنيها بصوته!.

ومما قيل فى شأن الشيخ عبدالله الشبراوى الإمام السابع للجامع الأزهر.. بخصوص حبه للأدب وكتابة الأشعار لكبار المطربين فى عصره.. ما ذكره الأديب والمؤرخ محمد سيد كيلانى حين قال: «لقد شب على حب الموسيقى والغناء فكان ينظم المقطوعات الغنائية الرقيقة ويتغنى بها.. وأقبل المغنون عليه يلتمسون منه الأغانى العاطفية فأجاب رغبتهم.. فانتشرت أغانيه بين العامة واخاصة وأرباب الفن وأولاد البلد».

وأما بالنسبة لعلاقته بأم كلثوم.. فقد بدأت فى عام ١٩٢٦.. حين شدت بكلمات قصيدته الرائعة «وحقق أنت المنى والطلب» التى قالت فيها بألحان الشيخ أبو العلا محمد:

وحفك أنت المنى والطلب  
ولى فيك يا هاجرى صبوة  
أبيت أسامر نجر السما  
وأعرض عن عازل فى هواك  
أمولاي بالله رفقا بمن  
ويا هاجرى بعد ذاك الرضا  
فإنى حسيبك من ذا الجفا  
منى يا جميل الهيا أرى  
فإنى محب كما قد عهدت  
ومثلك ما ينبغى أن يصد  
أشاهد فيك الجمال البديع  
ويعجبينى منك حسن القوام  
وحسبك أنك أنت المليح  
أما والذى زان منك الجبين  
وأنت فى الخدر روض الجمال  
لأن جدت أو جرت أنت المراد

وأنت المراد وأنت الأرب  
تحيرنى وصفها كل صب  
إذ لاح فى الدجى أو غرب  
إذا غمريا منيتى أو عتب  
إليك بذل الغرام انتسب  
بحفك قل لى لهذا سبب  
ويا سيدى أنت أهل الحسب  
رذاك ويذهب هذا الغضب  
ولكن حبك شىء عجب  
ويهر صباله قد أحب  
فياخذنى عند ذاك الطرب  
ولين الكلام وفرط الأدب  
الكريم المجلود العريق النسب  
وأودع فى اللحظ نبت العنب  
ولكن سقاها بماء الذهب  
ومالى سواك مليح يحب

ويقول كتاب «النصوص الكاملة لجميع أغنانى أم كلثوم» الصادر عن اللجنة الموسيقية العليا.. أن سيدة القصيدة العربية قد تغنت بهذه الكلمات فى عام ١٩٢٨ كما سُجلت فى العام نفسه على أسطوانة جرامفون.

\*\*\*

وكعادتنا فيما سبق وسلكتناه مع كل ما تغنت به أم كلثوم رجعنا فوراً للديوان والذى نشرت به هذه القصيدة.. وبصعوبة بالغة عثرنا على ديوان الشيخ عبدالله الشبراوى بدار الكتب المصرية- وهو مطبوع فى عام ١٩٢٢.. وكتبه العالم العلامة الحبر الفهامة الشيخ عبدالله ابن محمد الشبراوى كما جاء فى الغلاف الأول للديوان المشار إليه وذلك تحت حرف الباء الموحدة، وقد سبقها تحت هذا الحرف قصيدة قالها أثناء زيارته لقبر الرسول ﷺ..

والشاعر عبدالله الشبراوى قال ذلك بنفسه حين قدم هذه القصيدة: «قال أطلال الله بقاءه وقلت أيضا متوسلاً به ﷺ حين حججت ووجهتى قبره الشريف سنة إحدى وثلاثين ومائة ألف»، وفي مقدمة القصيدة التى غنتها أم كلثوم والتى نشرت بالديوان المنوه عنه - كتب الشبراوى يقول: «وقال آدام الله العلا وقلت أيضا متغزلاً..».

ومما لاحظناه حين الرجوع لأصل هذه القصيدة وفقاً لما هو موجود فى الديوان المشار إليه. أن أم كلثوم قد التزمت إلى حد بعيد بكل كلمات هذه القصيدة بلا أدنى تغيير.. وإن كانت قد استغنت عن بيت واحد فقط.. وهو الذى قال فيه الشاعر.

أشاع العزول بأنى سلوت                      وحقك يا سيدى قد كذب

وقد غنت أم كلثوم ستة عشرة بيتاً من أصل سبعة عشرة. ولا نعرف سبباً واضحاً لإهمال أم كلثوم للبيت السابع.. وكذلك لا نعرف سبباً واحداً لعدم لجونها لتغيير بعض كلمات هذه القصيدة!!! مع أن بالقصيدة كلمات صعبة.. وغير مفهومة..

وربما إقبال الشيخ أبو العلا محمد أستاذها الأول آنذاك على التغنى بهذه الكلمات بدون تحريف.. كان هو السبب الأول والرئيسى وراء عدم إجرائها أية تعديلات.. وما يؤكد لدينا ذلك.. هو أن ملحن هذه القصيدة هو الشيخ أبو العلا نفسه.

\*\*\*

هذا عن القصيدة.. فماذا عن الشاعر؟! إن الكلمات القادمة حتما سوف تلقى بعض الأضواء المبهرة على حياة هذا الشاعر الذى تولى يوماً ما مشيخة الجامع الأزهر. وكان ترتيبه بين من تولى هذه المشيخة رقم سبعة، واسمه بالكامل الشيخ عبدالله بن محمد ابن عامر الشبراوى وهو لذلك يعد أحد الثلاثة الكبار الذين تولوا مشيخة الأزهر.

ولد الشبراوى فى مدينة القاهرة فى عام ١٠٩١هـ - ١٦٨٠م.. وجاء فى كتاب «شيوخ الأزهر وخطات عن نظامه المعاصر» أن الشيخ الشبراوى كانت له مكانة علمية وأدبية عند الحكام والعلماء، وقد سجل أحداث عصره نثراً وشعراً، وكان كذلك من أعلام مذهب الشافعية. وترك مؤلفات كثيرة يدور معظم موضوعاتها حول الأدب والبلاغة والنحو.. كما أنه له أشعار كثيرة قالها فى مدح الأشراف ولا سيما سيدنا الحسين رضى الله عنه.. توفى الشيخ الشبراوى فى عام ١١٧١هـ..

ويقول بعض المؤرخين إن هذا الشاعر الكبير استطاع أن يعيش حياة خاصة في فترة الشباب داخل الأماكن التي كانت ترخر آنذاك بالفنون - مثل حديقة الأريكية وحدائق الروضة. وقد استهوته الموسيقى والغناء، مما ساعد كثيراً في اقترابه من عالم الفن والأدب. وفي كتاب «تاريخ الأزهر في ألف عام». كتبت الأدبية سنية فراعة.. عن الشاعر الشبراوي تقول إنه من مواليد عام ١٦٨٠م كان قد تلقى تعليقه الأولى حتى في رحاب الأزهر.. كما كان يجالس كبار العلماء في عصره وأخذ عن معظمهم. كما تتلمذ بشكل خاص على يد الشيخين الجليلين.. القليني والفيومي.. وكانت هوايته اقتناء الكتب النفيسة..

وأضافت سنية فراعة صاحبة كتاب تاريخ الأزهر. أن الشيخ عبدالله الشبراوي.. ومن بعد رحيله قد خلف وراءه كثير من الآثار في مختلف العلوم من أهمها: كتابه «مفاتيح الألفاظ في مدائح الأشراف» وهو ديوان شعر.. وشرح الصدور في غزوة بدر، وعنوان البيان ونسيان الأذهان في البلاغة<sup>(١)</sup>.

---

(١) تاريخ الأزهر في ألف عام - سنية فراعة.

قصيدة لم ينشرها في ديوانه!

في حوار طال وتشعب في أكثر من اتجاه عن هؤلاء الشعراء الذين يضطرون لكتابة إحدى قصائدهم لأجل مناسبة بعينها.. أكد الشاعر أحمد سويلم أن هناك العشرات من الشعراء سواء من مصر أو من غيرها من الذين يفعلون ببعض الأحداث الوطنية أو القومية فيكتبون معبرين عنها.. وقد تكون هذه القصائد في تصورهم لا ترقى لمستوى النشر في الدواوين، لإحساسهم بأن كلمات هذه القصائد تحمل بين طياتها معاني وقتية وانفعالات تزول بزوال الحدث نفسه!.

وكذلك اكتشفنا هذا الأمر بوضوح أكثر في مجال القصائد المغناة! إذ خصص صنف من الشعراء من الذين يكتبون بعض قصائدهم لكي يتغنى بها المطربون في مناسبات بعينها من دون نشرها في ديوان.

ولقد سبق لنا أن قابلنا هذه القضية مع أكثر من شاعر من الذين تعاملت معهم سيدة القصيدة العربية أم كلثوم سواء من الشعراء المصريين أو من غيرهم. ورغم ما عانيناه من جراء الحصول على هذه الدواوين للبحث فيها عن هذه القصيدة أو تلك..، إلا أننا فعلاً كنا نفاجئ بهذه الحقيقة الصعبة وكنا نستسلم لذلك ونكتب القصيدة المعنية والتي تغنت بها أم كلثوم من دون الإشارة إلى ما أصابها من تعديل وتعديل.. حتى جاء حديثنا مع الشاعر أحمد سويلم الذي أكد لنا هذه النظرية، وبالتالي استراح الضمير.

وهذه المرة أيضاً فاجأنا الشاعر الكبير محمد مصطفى الماحي الذي لم ينشر القصيدة التي غنتها أم كلثوم من كلماته في عام ١٩٥٦ تحت عنوان: «الفجر الجديد».. في ديوانه المنشور بعنوان «ديوان الماحي» والمطبوع في عامي ١٩٥٧، وبالتالي بات علينا أن نتوقف فقط أمام نص القصيدة المعنية من دون الإشارة إلى ما أصابها من تعديلات، وربما كذلك لم يصبها ذلك التعديل، الذي تعودت على إدخاله أم كلثوم مع أغلب من تعاملت معهم من الشعراء.

ويبدو أن أم كلثوم لم تسجل هذه القصيدة على أسطوانة ولا غنتها في حفل عام.

وانما وكما هو واضح من مدلول كلماتها أنها قد تغنت بها بمناسبة العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦.. وفيها ألفاظ عديدة ذكرها الشاعر متغنياً بالزعيم جمال عبدالناصر..

وتقول كلمات هذه القصيدة.

من أطلع الفجر الجديد      على ربي تلك الربوع الناضرة  
في القاهرة في كل أوطان الشعوب الثائرة  
هو صنائع التاريخ في أيامنا      هو مشرق الآمال في أحلامنا  
هذه خطاه على الطريق تقودنا  
لم تعطنا الدنيا سواه      ولا نريد لها سواه  
شدت يداها لنا الصباح      من الدجى سلمت يداها

يا مصر يا وطن العروبة يا منار الثائرين  
يا مهد كل حضارة يا دار كل الخالدين  
فجر الحقيفة أطلقه وقبليه وعائقيه  
وخذى فتاك إلى حماك إلى علاك وسائليه  
كيف استفاق الدهر ينشر في حمى كفيك شعرة  
كيف التقى الوطن الكبير بوحدة أنسته بعده  
كيف استطاع فتاك أن يلقى بقلب الظلم رعدة  
وفتاك عبدالناصر يطلب الكفاح الظافر

لم تعطنا الدنيا سواه      ولا نريد لها سواه  
شدت يداها لنا الصباح      من الدجى سلمت يداها

\*\*\*

وحسناً فعل شاعرنا الكبير محمد مصطفى الماحي.. عندما رفض أن يضم ديوانه الجميل هذه القصيدة التي يبدو من ظاهر كلماتها أنها كتبت خصيصاً لمناسبة بعينها.. في إطار ما كانت تقدم عليه أم كلثوم لاسترضاء عبدالناصر في فترة تثبيت الوجود مع الثورة.

ولسوف يمر علينا وكما سبق وأشرنا في أكثر من مكان.. أنها قد طلبت ذات الطلب من شاعرنا الكبير بيرم التونسي - والذي كتب لها أغنية «يا جمال يا مثال الوطنية»، ولذلك فإن أى تعديل سوف تطلبه أم كلثوم وملحن هذه القصيدة الموسيقار رياض السنباطى سوف ينفذه الماحى فوراً!! والا!!.

\* \* \*

وبطبيعة الحال.. ورغم ريادة محمد مصطفى الماحى فى مجال شعر الفصحى.. إلا أنه لم يكن ليوحد بيننا فوق هذه الأوراق لولا كتابته هذه القصيدة لأم كلثوم وذلك وفقاً لما ارتضيانه من منهج سابق وقد طبقناه مع جميع شعراء أم كلثوم.. عندما كنا نختتم هذا الحديث بقبس من السيرة الذاتية..

فقد ولد شاعرنا محمد مصطفى الماحى فى مدينة دمياط فى عام ١٨٩٥.. وتلقى تعليمه فى مدارسها، ثم عُين رغم حداثة سنة بعد اجتياز إحدى المسابقات بوظيفة فى ديوان الأوقاف.. وظل يرقى بهذه الوظيفة حتى نال من خلالها العديد من المهام، وقد عين بعدها مراقباً عاماً بوزارة الأوقاف كما اختارته حكومة العراق فى عام ١٩٣٧ لتنظيم الأوقاف بها، بناء على ترشيح من الحكومة المصرية.

وفى ميدان الأدب اختير الماحى وكيلاً لرابطة الأدب العربى فى عام ١٩٣٣.. بعدها أصدر ديوانه الأول فى عام ١٩٣٤.. وهناك من المؤرخين ومن النقاد من الذين يرون أن الماحى تأثر كثيراً فى أشعاره بالمتبنى وأبى العلاء وابن زيدون والبهاء زهير.. هذا وقد طبع ديوانه والذي شمل كل إنتاجه فى عام ١٩٥٧ عن دار الفكر العربى.

عندما بدأنا أولى محاولتنا للبحث عن معلومات تدل إلى عالم الشاعر الكبير أحمد فتحي.. أخذت أسمع الكثير من الحكايات عن هذا الشاعر الذى مات وحيداً فى أحد فنادق القاهرة بعدما عذبه الشعر والحب والحياة!

وكانت أولى الخيوط البيضاء التى دلتنى إلى عالم هذا الشاعر الكبير قصيدته «الكرنك» والتى شدى بها الموسيقار الكبير محمد عبدالوهاب... حتى أننى كثيراً ما سمعت عنه مقترنا بقصيدته الكرنك، وقد صار من يومها «شاعر الكرنك»!

وبعد طول بحث عثرت على هذا الشاعر وعلى كلمات رأيته خير مفتاح له ولشخصيته ولأشعاره العذبة..

ولقد ارتبطت هذه المحاولات بقصيدته الجميلة «قصة الأمس» التى شدت بها أم كلثوم فى عام ١٩٥٨، من تلحين الموسيقار الكبير رياض السنباطى.

إن لأحمد فتحي كما لغيره من الشعراء الكبار قصصاً وحكايات مع سيدة القصيدة العربية أم كلثوم.. سوف نتوقف عند بعضها، خاصة ما ارتبط بقصيدة «قصة الأمس»، وذلك من بعد أن نعيش مع الكلمات نفسها.. ونبحث عن التغييرات التى أدخلتها أم كلثوم على هذه القصيدة إن وجدت!

\*\*\*

مع إشراقات شهر فبراير من عام ١٩٥٨.. نقلت الاذاعة حفلاً كبيراً لأم كلثوم تغنت فيها بقصيدة «قصة الأمس». والتى تقول كلماتها:

مهما استرحمت دقات قلبى  
والصدود وخان حبنى  
قلبى للتصافى لن يلبى  
أمل الدنيا ودنيا أملى

أنالن أعود إليك  
أنت الذى بدأ الملامة  
فإذا دعوت اليوم  
كنت لى أيام كان الحب لى

حين غنيتك لحن الغزل  
وكننت عيني، وعلى نورها  
وكننت روحي، هام في سرها  
وعدتني أن لا يكون الهوى  
وقلت لي إن عذاب النوى  
ثم أخلفت وعوداً  
هل توسمت جديداً

فغرامى راح ياطول ضراعاتي إليك

وانشغالي في ليالي السهد والوجد عليه

كان عندي وليس بعدك عندي  
يا ترى ما تقول روحك بعدى  
عش كما تهوى قريباً أو بعيداً  
وليالي ضياعاً وحبوراً  
يسهر المصباح والأقداح والذكرى معى

يا لذكراك التي عاشت بها روحي على الوهر سنينا

ذهبت من خاطري إلا صدى يعتادني حيناً فحيناً

فصاة الأمس أناجيها وأحلام غدى  
وجراح مشعلات نارها في  
وجراح مشعلات نارها في مرقدي

أنا لن أعود إليك مهما استرحمت دقات قلبي

أنت الذي بدأ الملالة والصدود وخان حبي

فإذا دعوت اليوم قلبي للتصافي لن يلبي

\*\*\*

وبالرجوع إلى الأوراق التي نشرت بها هذه القصيدة خاصة إلى كتاب «اعترافات  
شاعر الكرنك».. وجدنا نوعاً من التطابق فيما تغنت به أم كلثوم وكلمات القصيدة التي

كتبها الشاعر الراحل أحمد فتحى إلا فى بعض الألفاظ التى غيرتها أم كلثوم والملحن رياض السنباطى ..

وعلى سبيل المثال ففى البيت الذى غنته أم كلثوم والتى تقول فيه :

فغرامى راح يا طول ضراعاتى إليه

كان فى أصل ما كتبه أحمد فتحى :

فغرامى راح يا طول غرامى إليه

وقد غيرت أم كلثوم بذلك كلمة «ضراعاتى» بدلاً من كلمة «غرامى» .

وفى البيت الذى تقول فيه أم كلثوم :

ولبالى ضياعاً وجحوداً      ولقاء ووداعاً يترك القلب وحيداً  
كان فى الأصل :

ولبالى ضياعاً وجحوداً      وعناء يترك القلب وحيداً

حيث استبدلت أم كلثوم كلمة «عناء» التى كتبها الشاعر بكلمتى «ولقاء ووداعاً» !.

وبخلاف ذلك لاحظنا أن أم كلثوم قد كررت الأبيات الأولى التى قال فيها الشاعر :

أنا لن أعود إليك مهما

استرحمت دقات قلبى

أنت الذى بدأ الملالة

والصلود وخان حبى

فإذا دعوت اليوم قلبى

للتصافى لن يلبنى

وهذه الأبيات لم يكررها الشاعر فى نهاية قصيدته كما فعلت أم كلثوم حين تغنت بها .

\*\*\*

هذا عن القصيدة .. فماذا عن الشاعر وعن ظروف اختيار أم كلثوم لكى تغنيها فى

عام ١٩٥٨ .. بعدما أخذ أحمد فتحى يرسل أم كلثوم بقصائده الجديدة منذ أن تغنى

بقصائده الموسيقار محمد عبد الوهاب، من قبل هذا التاريخ بسنوات على حد قول الشاعر الراحل صالح جودت!!؟!

ومما يقال بشأن هذه القصيدة أيضا.. أن أم كلثوم قد اختارتها بعدما نشرها أحمد فتحى فى جريدة الأهرام.. وهذا القول يؤكد أيضا صالح جودت فى كتابه عن «شاعر الكرنك» حيث حكى لنا تفاصيل لقائه مع أم كلثوم بعدما خذله عبدالوهاب بعد أنشودة الكرنك، عندما رفض أن يغنى له قصيدة «البحيرة»، فاتجه يومئذ إلى أم كلثوم ينتقم بها من عبدالوهاب، وبعث إليها بأكثر من قصيدة<sup>(١)</sup>.

ويضيف صالح جودت: ولكن أم كلثوم خذلتها هى الأخرى فى ذلك العهد، عهد الشباب الأول.. ثم ها هى ذى تعود فى أيامه الأخيرة فتغنى له هذه القصيدة العذبة.

ويسترد شاعرنا كل ما فقد من أمل ويحسب أن القدر قد ابتسم له بعد طول عبوس، ويبعث إلى أم كلثوم بقصيدة أخرى فلا تستجيب له هذه المرة، فيعاود الكرة مع عبدالوهاب، ولكن أبواب عبدالوهاب تقف صماء أمام طلبه.

أما نصيبه المادى من هذه الأغنية فلا يزيد على خمسين جنيها، ينفقها فى غمضة عين، ويعود إلى حانته ليغرق همه فى الكأس، ويستسلم لموجة قاتلة من اليأس.

ويؤكد صالح جودت أن أم كلثوم قد شددت بقصيدة «قصة الأمس». قبل رحيل صاحبها بستين فقط.. إذ توفاه الله فى عام ١٩٦٠! وكان آنذاك يقيم فى غرفته بأحد فنادق القاهرة.. عندما أحس أنه متعب مكدود، ويحاول أن يظفر بأحد من أصدقائه الأطباء فلا يجد منهم أحدا.

ويصبح صباح حزين.. ففى الساعة العاشرة من الصباح يصل الطبيب فيجد أن رحمة الله بشاعرنا قد سبقته فى ساعة مجهولة من الليل. ليلة الرابع من يوليه عام ١٩٦٠.

\*\*\*

ولقصيدة «قصة الأمس» فى حياة صاحبها قصة أيضا.. عاشها من قبل أن تفصح عنها أم كلثوم.. وقد دون طرفاً من هذه القصة الأديب محمد محمود رضوان فى كتابه

(١) شاعر الكرنك - أحمد فتحى حياته وشعره - صالح جودت - كتاب الهلال.